روائع المسرح العالمى

٥

# پينيلوپى

تأليف

سومرست موم

ترجمة

مفيد الشوباشى

مراجعة

فؤاد اندراوس

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الإدارة العامة للثقافة

# پينيلوپ

ملهاة ذات ثلاثة فصول

بقلم

سمرست موم

هذه ترجمة مسرحية

# PENELOPE

by

Somerset Maugham

# مقدمة

كتب « سومرست موم » أكثر من خمس عشرة مسرحية جميعها من نوع الملهاة ، أو على وجه التحديد ، الملهاة السلوكية التى تبحث فى سلوك الأفراد داخل نطاق بيئتهم . وبرغم أن هذه المسرحيات بلغت مستوى رفيعاً من الإتقان الفنى ، وتقدمت بالأدب النقدى شوطاً جديراً بالعصر الراهن ، إلا أنها لم تحقق الشهرة التى تستحقها . وليس معنى هذا أنها ظلت مغمورة دون أن تحقق أى قسط من الشهرة ، فهى تتمتع بالتقدير الكبير ، ولكن دائرة هذا التقدير لم تتسع وتشمل الجماهير الحاشدة ، بل اقتصرت على ذوى الذوق الأدبى المرهف السامى الذى يدرك ويقدر ما دق حجمه وغلا ثمنه ، ولا يحتاج إلى دق الطبول ، أو إضرام النيران ليسمع ويحس . وهناك عوامل أدت هى الأخرى إلى الحد من شهرة مسرحيات « موم » ، ولعل أهمها ما يأتى :

أن المذاهب الجديدة فى الأدب زحفت على المسرح وصبغت الأعمال المسرحية بألوانها ، ووجهتها إلى مختلف اتجاهاتها . فظهرت المسرحيات المذهبية التى تأثر بعضها

بالمذهب الطبيعى ، وبعضها الآخر بالمذهب التعبيرى ، أو بالمذهب السريالى أو الوجودى أو المستقبلى أو غير ذلك من المذاهب المستحدثة التى ملكت ألباب طلاب الجديد من رواد المسرح ، وهواة الأدب الذين أمرضت الحروب نفوسهم ، وأخرجتهم عن حالتهم الطبيعية . فلم يعودوا يتذوقون الأدب الأصيل الذى يعكس لهم الواقع فى صدق وبساطة ، ويستهدف الكشف عن عيوبه وتحليلها .

ومن تلك العوامل أن مسرحيات « موم » ، أو ملاهيه السلوكية ، تقتصر على تصوير حياة الأسر الإنجليزية المتوسطة المستوى ، فمن الطبيعى والحال هذه أن تنال من اهتمام الإنجليز بها قدراً أكبر من اهتمام غيرهم . وأن يكونوا أقدر على فهمها والتأثر بها . ولكن هذا لا يمنع بالطبع أن يقبل عليها هواة الأدب الرفيع أيا كان موضوعها ، لا سيما وقد ارتفع أغلب هذه المسرحيات عن المستوى المحلى إلى المستوى العالمى .

ومن تلك العوامل أيضاً أن «موم» كتب قصصاً بلغ أسلوبها الفنى من الروعة والأصالة ما بهر الناس فى جميع الأصقاع ، وخلب عقولهم ، وملك مشاعرهم . . . فلا عجب أن تشغل هذه القصص جموع الناس عن مسرحيات هذا الكاتب الخلاب ، لا سيما وهى تحاول تحليل النفس البشرية على الإطلاق ، وتفسير اتجاهاتها السلوكية ، ولا تقصر اهتمامها على تصوير الأسر الإنجليزية فى قالب الملهاة الخفيفة الظلال التى

أصبح حتى النظارة المقبلون على مسرحيات الملاهى ، يؤثرون ملهاة الفكاهة Farce على سائر أنواعها .

ولا بد لنا قبل الإدلاء بكلمتنا عن الملهاة التى نقدم لها أن نلقى بعض الضوء على شخصية «موم» وأعماله الأدبية الأخرى لنصبح أقدر على فهم مضمونها واتجاهاتها .

• • •

أيستطيع المرء أن يتحرر من تأثير بيئته ؟ إن الواقع يدحض من يرى استحالة ذلك . فكم من امرئ خرج على تقاليد أهله ، وتطبّع بغير طباعهم ، وسلك غير سلوكهم ، ولكن المرء لا يستطيع أن يتحرر من أثر مجتمعه ، لأن المجتمع يتضمن مختلف اتجاهات العصر الفكرية والسلوكية ، ولا مفر للمرء من اتباع أحدها ، ومن التأثر بظروف حياته وملابساتها كذلك .

وقد نشأ «وليم سومرست موم» أول ما نشأ فى باريس بين مجتمع غريب عن قومه ، فتأثر به من دونهم ، ولا بست حياته ظروف لا تتفق لكثيرين من الناس ، ثم تنقل بين إنجلترا وألمانيا وجنوب فرنسا ، ولم يلبث أن عاد إلى باريس حيث أقام عشر سنوات أخرى ، ثم طوّف فى مختلف بلاد العالم ، وعاش ردحاً من الزمن فى جزر الهند الشرقية حيث خبر حالها وطباع أهلها ، وعرف لغات كثيرة ، واتسع اطلاعه ، وتنوعت معارفه ، ورحبت آفاق خبرته ، فهل من

عجب أن يحدث هذا أثره العميق فى موهبته الفنية ، وقدرته الكتابية ، وأن ينعكس على مؤلفاته ويسمو بمستواها ؟

لقد شهدت باريس مولد هذا المؤلف القصصى والمسرحى الفذ فى يوم ٢٥ من يناير سنه ١٨٧٤ . ولم يكن «موم» الولد البكر ، ولكنه كان الولد السادس لمستشار السفارة البريطانية فى باريس ، وقضى طفولته فى بيئة فرنسية بحت ، فتحدث بلغتها دون لغة قومه ، ولكن الأقدار عركته وعركها وهو غض الإهاب ، فماتت أمه بمرض السل وهو بعد فى الثامنة ، ثم أصبح يتيم الوالدين وهو لم يتعد العاشرة .

وغادر باريس ، مهد طفولته ، ومرتع لهوه البرىء ، وعاد إلى انجلترا ليعيش فى بلده الغريب عنه ، ويقيم بين أناس لا تربطهم به صلة معرفة وود ، وإن ربطتهم به صلة قرابة ودم .

تكفل به عمه ، وكان قس بلدة « ويتستابل » ، فعانى الطفل شظف العيش فى هذه البيئة المتقشفة ، ولعق مرارة الوحدة ، وبكى باريس وأيامه الحلوة بها . وكثرت هواجسه خلال خلوته الطويلة بنفسه ، و أكثر ما أثار تلك الهواجس مرض الصدر الذى كان يتهدده ، وعاهة ساقه العرجاء ، وقلة إلمامه باللغة الإنجليزية مما أثار سخرية الصبية منه .

وبعد أن طالت معاناته لتلك الحال ثلاث سنوات بطيئة مريرة ، رحل عن بلدة عمه إلى « كانتربرى » لتحصيل العلم فى

« كينجز كولدج » وعرف منذ ذلك الحين حرفته المستقبلة ، عرف أنه سيحترف الكتابة . وبعد أن أتم مرحلة التعليم الثانوى سافر إلى « هايدلبرج » بألمانيا حيث التحق بجامعتها ، وواظب على محاضراتها حقبة من الزمن ، ولكنه لم يتخرج فيها ، وإن كان قد حصّل هناك وفرة من المعارف ، وفاز بالكثير من التجارب ، وازدادت ثقافته غنى وتنوعاً .

وبرغم أن عمه كان رجل دين فقد أراد هذا العم أن يوفر لابن أخيه نعيم الدنيا . وظل يلحّ عليه أن يلتحق بكلية عملية ليضمن حرفة توفر له الربح الجزيل ، وزيّن له الالتحاق بكلية الطب ، وما زال به حتى أقنعه برجاحة هذا الرأى . ودرس « موم » الشاب الطب ، وتخرج فى كليته ، ولكنه لم يتخذ له عيادة قط ، ولم يمارس التطبيب عقب تخرجه إلا إذا استثنينا وقتا غير طويل قضاه طبيب امتياز فى مستشفى حى «لامبث» ، وهو أفقر أحياء لندن ... لقد حسب أن دراسة الطب قد تنسيه الأدب ، وأن الطبيب فيه سيخلف الأديب ، ولكن الأدب عاد فغلب على الطب ، وصمد الأديب للطبيب فلم يخل له مكانه . وهكذا وضح أن موهبة «موم» كانت أقوى من عقله ، وهوايته أغلب من حب الطمأنينة وراحة البال .

وعاش فى إنجلترا بين ذكريات طفولته ، فازداد ضيقاً بما يحيط به فى حاضره ، وساءت حالته النفسية فزادت حالته الجثمانية سوءاً ، وتحرك داء صدره وتهدده بخطر محدق .

ونصحه الأطباء أن يستشفى على شاطئ البحر المتوسط فى جنوب فرنسا حيث الدفء وجمال الطبيعة . وسافر إلى هناك ، وقضى الصيف على رمال الشاطئ مستمتعاً بالبحر الذى كان يتبرج له كل آن فى حلة جديدة الألوان ، وبالنسيم الجاف النقى الممتع . ولكن نفسه كانت تنازعه إلى باريس . وعند ما عاد المصطافون إلى قاعدة فرنسا وعروسها ، برّح به الحنين ، فلم يلبث أن لحق بهم إلى هناك ، وشرع على الفور فى تحقيق ما كانت نفسه تهفو إليه وتصبو . . . مارس الرسم . . ولكنه لم يحقق فيه النجاح المأمول . فشرع فى تأليف القصص والمسرحيات ، وظل يكدح فى هذا المضمار عشر سنوات مستلهما مواطن جمال باريس ، وومضات تألقها الفكرى والروحى آنذاك .

ولكن الفنان الأصيل لا يستطيع أن يظل حبيساً فى مكان واحد ولو كان ذلك المكان جنة الخلد . وتاق «موم» إلى الانطلاق وارتياد مختلف أقطار العالم ، والاستمتاع بمشاهدها ، والتزوّد بمعارفها . ولم يكن ممتلئ الوفاض إلى حد يستطيع معه تحقيق تلك الأمنية ، فتحايل عليها بأن التحق بإحدى البواخر طبيباً يزاول التطبيب مزاولة شكلية . وما كاد يستمتع برحلات هادئة إلى بلاد غريبة جميلة يرفرف عليها السلام ، وتغمرها الطمأنينة ، حتى أشعل الحرب العاتية شياطينها تلهفاً على الكسب الحرام واغتصاب الحقوق ، وقضت ظروف

الحرب أن يعين الشاعر الكاتب الأديب عام ١٩١٤ ضابطاً بالمخابرات الحربية البريطانية !

وإذا كانت الحرب تسقم الناس بأهوالها وفظائعها حتى ولو لم يعرفوا تلك الأهوال والفظائع إلا بالسماع ، فكيف تكون حال أديبنا منها وقد غرق فى معمعانها إلى ذقنه ؟ إنها لم تستثر كوامن إشفاقه وشجنه فحسب ، ولكنها أصابت ضميره بأزمة لم يشف منها إلى اليوم . . . وهو إذ أدان مشعلى نيرانها ، ودمغهم بالقسوة والوحشية ، ورآهم مجبولين على الشر والإجرام ، لم يقصر حكمه عليهم ، ولكنه عممه على الناس أجمعين ، ودخل فى روعه أن البشر جبلوا على الشر لا فرق فى ذلك بين المجرم العريق ، ورجل المجتمع المحسن الكريم فى مظهره دون مخبره . . .

وقد زار روسيا خلال تلك الحرب العالمية الأولى ، ثم رحل إلى الشرق الأقصى وسلخ هناك حقبة من الزمن . ولم تقع عينه هناك على مناظر ساحرة غير مألوفة له فحسب ، ولكنه خبر كذلك عادات وتقاليد غير معروفة له أيضاً ، بل غريبة فى نظره كل الغرابة ، فاكتسب بذلك معارف جديدة ضمها إلى ذخر معارفه السابقة ليغترف منها كلما دعت حاجة قصصه إلى ذلك .

مثل هذه الحياة المنوعة ، المحتشدة الأحداث ، الغنية التجارب ، تفتق حتى الذهن السقيم ، وتُوقظ الوعى البليد ،

وتطلق الضيق الأفق من الحدود التى حشر فيها ، فما البال بالأديب الألمعى الواعى البصير ؟ . . لقد أفاد « موم » من كل ما أبصر واختبر أقصى فائدة تستخلص ، وظهر ذلك على أوضح وجه فيما كتب .

اقتبس من المؤلفين الفرنسيين ذوقهم الفنى ، ولباقتهم فى التعبير ، وبلاغتهم فى التبيين ، وابتكارهم للمعنى الأصيل . وأخذ عن الإنجليز واقعيتهم الموضوعية ، وميلهم إلى السخرية والتهكم ، وبراعتهم فى الحوار ، وبساطتهم فى الأداء ، مع الإيجاز غير المخل بالمعنى ، وتعلم من الألمان تعمق الموضوع ، ودقة الملاحظة ، ورجاحة العقل ، والتركيز والتغلغل إلى التفاصيل الضرورية لإيضاح المعنى وإكماله . . . وتلقن عن الشرق الحكم الموروثة ، والروحانيات النقية المترفعة عن الحضيض الذى انحدر إليه بعض سادة الغرب المتكالبون على الماديات .

وأين يظهر ذلك كله إذا لم يظهر فى أعماله الأدبية ، وهى ترجمة لخوالج نفسه ، وخواطر ذهنه ؟ ؟ لقد انعكست فى تلك الأعمال أناقة باريس ، وبراعة الإنجليز ، وتعمق الألمان ، وسحر الشرق الغامض . وإذا كانت ظروف حياته قد أمدته بأسباب النجاح فى مهنته فإنه لم يتوان عن الإفادة من تلك الأسباب قدر طاقته . . . بيد أن تلك الإفادة كادت تقتصر على شكل أعماله الأدبية دون مضمونها ، ولا غرو فهو يرى

قيمة الأدب تنحصر فى الشكل ، أما المضمون فمهمته خدمة الشكل ! . . .

إن قلم «موم» أشبه بريشة الرسام ، فكتابته تصوير دقيق واضح القسمات ، أخّاذ المشاهد ، ليس فيه حشو أو اختصار ، ولا تنقصه الأصالة ، أو تشوبه الصنعة المفتعلة . أما الموضوع الذى يختاره فيلائم موهبته التصويرية ، وأما معانيه فتروق وتشوق . . . ولكن ، ما مضمون كتاباته ؟ وعلى أى نحو يصور لنا البشرية ؟ . . . ما فحوى رسالته فى الحياة ؟ . . . نحن لن نتولى عنه شرح هذا ، ولكننا سندع الأمر له هو نفسه ، وذلك بتلخيص بعض أعماله الرئيسية ، وإبراز اتجاهاتها ومقاصدها . والقارئ الذى سيمحّص أعمال «موم» وهو واضع نصب عينيه حالته النفسية ، أو تشاؤمه المتولد عن ظروفه القاسية ، سيكون أقدر على فهم تلك المقاصد والاتجاهات . .

وأول ما لفت الناطقين بالإنجليزية إلى «موم» أسلوبه السهل الممتنع . ولا يقتصر مقصودنا من الأسلوب على صياغة العبارة فحسب ، ولكن صياغة القصة بأكملها . . . إنه يعرف كيف يستولى على لب القارئ ، ويبلغ أغوار قلبه ، وذلك ببراعته فى تصميم قصته على نحو فنى رائع . . .

وقد قيل عن أسلوبه البيانى إنه يبلغ من البساطة حداً يجعله أشبه بالحديث العادى . ولكن هذا الحديث العادى أشبه بنظم اللؤلؤ فى صياغته .

وقبل عن أسلوبه القصصى إن مؤلف القصة يتوارى فيه ويترك الشخوص والأحداث تتحدث عن نفسها دون أن يعكر صفوها معكّر . . .

ولا يظن القارئ أن المقصود من ذلك أن يقف المؤلف من موضوع قصته موقفاً سلبياً . لا ، فمن واجب المؤلف أن يكون له رأى واضح فيما يكتب ، بيد أنه لا ينطق به ، وإنما يوجه الشخوص والأحداث ويدعها تتولى عنه ذلك . . . إن حيدة المؤلف التى يتحدث عنها بعض النقاد ، وهم وخرافة ، وليس أدل على ذلك من أن « موم » ، وهو المشهود له بتلك الحيدة ، بل وهو من أنشط المشايعين لها ، يزّ جميع الكتاب فى اهتمامه بإقناع القارئ بفلسفته التشاؤمية ، وإلحاحه عليه فى ذلك .

• • •

تعد قصة « أغلال الإنسانية » Of Human Bondage آيته الفنية الكبرى . وقد قال عنها أحد النقاد إنها أشبه بالأعمال الكلاسيكية وسط الآيات الأدبية الحديثة . . . وهى أقرب إلى تصوير سيرة حياته منها إلى القصة وفق مفهومها المتعارف عليه . ولا تقتصر قيمتها على تعريف القارئ بلون الحياة التى عاشها ذلك المؤلف الكبير ، ولكنها تحلل شخصيته فتعين القارئ على تفهم معانيه وإدراك اتجاهاته وغاياته وما يترتب على ذلك من تفسير مقاصده المحتاجة إلى تبيين . لقد وصف

لنا «موم» فى تلك القصة حياته الخشنة المريرة التى عاشها فى كنف عمه ، وعبّر عما كان يعانيه من ألم وعذاب بسبب عاهته ، وعما كان يداعبه من أمل فى البرء منها ، ثم ما كان يصيبه بعد ذلك من خيبه أمل مضنية . . .

كان يتوسل إلى البرء من تلك العـاهة بالدعوات والابتهالات والرياضة الروحية ، وكان يقضى لياليه داعياً راجياً منهمر الدموع حتى إذا طلع الصباح هبّ من فراشه لهفاً على الشفاء ، فإذا سار خطوة واحدة صدمه الواقع المرير ، وألقى به بين براثن اليأس من جديد . . . ومن ثم صار ينفس على أصحاب العافية عافيتهم ، وينظر إلى الدنيا بمنظار أسود . .

وفى عام ١٨٩٧ نشر أول قصة له باسم « ليزا حى لامبث » ، «Liza of Lambeth» وصور بها حياة الضنك والعوز فى ذلك الحى الفقير ، وسجل خواطره وتجاربه المستخلصة من حياته وهو طبيب امتياز فى مستشفى الحى المذكور . ولكن أولى قصصه التى فازت بالشهرة والرواج هى قصة « رجل شرف » «A Man of Honour» ، وقد صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٠٣ . . . وكان أول نجاح له فى تصوير الشخصيات ، تصويره لشخصية « ليدى فردريك » فى المسرحية المسماة باسمها . ثم تدفقت أعماله المسرحية التى استمتع النظارة بمشاهدتها فى عواصم أوربا

وأمريكا . وأغلب مسرحياته تصور كما قلنا حياة الأسرة الإنجليزية المتوسطة الحال فى أسلوب نقدى فكه لاذع .

وما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى شرع يكتب قصته المشهورة «القمر وست بنسات» Moon and Six Pence وفرغ من كتابتها وإصدارها عام ١٩١٩ . وتتميز هذه القصة بأسلوبها الحار القوى التعبير ، ولعل ذلك يرجع إلى أن «موم» عبّر فى تلك القصة عن خوالج نفسه وأمانيها ، بل لعله رسم لنا نفسه إذ رسم بطلها .

كان هذا البطل من رجال المال ، يعمل نهاره ليجمع قدر ما يستطيع من الأوراق المالية ، وتعمل زوجته قدر ما تستطيع لتبديد ما يجمع . فهى لا تنقطع عن إقامة الحفلات ودعوة أهل الوجاهة والأناقة إليها . والزوج يضيق بحفلاتها ، وينفر من سراة القوم الذين تدعوهم . ورزق منها ولداً وبنتا . وصبر على تلك الحال حتى كبر ولداه ، وبلغا سن الرشد . وعندئذ شعر أنه أدى واجبه حيال أسرته ، فقد أمتع زوجته حقبة من الزمن ، وأحسن تربية ولديه ، وزوّدهما بما يحتاجان إليه من علم ليشقّا طريقهما فى الحياة دون حاجة إلى عونه . . . شعر أنه أدى واجبه ، ومن حقه أن يشبع الآن هواية ظلّت تدعوه وتلح فى دعوتها طوال السنين التى ظل يكدح خلالها ليوفر أسباب اللهو لأسرته . . . تلك هى هواية الرسم . . .

ويستطيع القارئ أن يدرك وجه الشبه بين مؤلف القصة وبطلها إذا علم أن «موم» كان يهوى الرسم إلى جانب هوايته للكتابة ، وأنه كان أيام عمله طبيباً فى مستشفى « لامبث » يتلهف على التفرغ للفن ، وأن سفره إلى باريس ، وتوطينه النفس على البقاء بها ، كان بقصد احتراف الرسم . . .

وهرب بطل القصة من زوجته وولديه ، وقصد إلى باريس موطن الفن والجمال ، وأخذ يمارس هناك العمل الذى ملك عليه لبه ، وحمله على مغادرة وطنه وأهله وزوجته وولديه . . . وبرغم أنه ابتدع أروع اللوحات ، فهو لم يحقق الشهرة والمجد ، بل ظل مغموراً لا يجد حتى ما يقيم أوده . .

أراد «موم» أن يصور فى تلك القصة حياة الرسام الفرنسى جوجان ، ولكنه ظل وهو يكتب قصته ينظر فى نفسه هو ، ويعبّر عن مطامحها وخوالجها ، ويصور مواهبها ، ويبرّر إخفاقها . . . كان يؤمل يوم سافر إلى باريس أن يصبح رساماً شهيراً ، ولكنه اضطر إلى التحوّل من ميدان الرسم إلى ميدان الكتابة بعد إخفاقه فى تحقيق ما يصبو إليه .

وتشير القصة إلى أن سبب إخفاق ذلك الرسام الكبير فى ميدان الحياة الفنية ، برغم نجاحه المنقطع النظير فى ميدان الإبداع الفنى ، يرجع إلى تحليقه فوق مستوى الذوق العام ، وإلى إعطاء الفن قسطه من الإتقان دون تملق الرغبات

الجماهيرية . أما الرسامون الذين أصابوا الغنى والشهرة ، فى القصة ، فهم الذين تاجروا بفنهم ، ولم يستهدفوا — كما قال المؤلف — غير الكسب الوفير . . . عاش الرسام الكبير عيشة الفقير الحقير ، وعضّه الجوع فراح يفرض على الرسامين المشهورين دفع بعض المال ليسدّ رمقه . كان يأمر الواحد منهم أن يدفع له المبلغ الذى يحدّده فيدعن الرسام الناجح للأمر مدركاً مكانة آمره الفنية ، بل شاعراً كأنه اغتصب منه الغنى والشهرة . أما ذلك المخفق الخائب ، فى نظر الجهلاء ، فكان يستشعر القوة إذ يأمر أولئك الناجحين فيطيعونه ، وهل كان لهم محيص من الإذعان له ؟ ألم يكونوا يعرفون حقيقة قدره وقدرهم ؟ وهل من عجب أن يضعف الضعيف أمام قوة القوى ؟

ضاق بباريس ومجّها بعد أن كابد فيها غضاضة الإخفاق والوحدة ، ورحل عنها إلى بلدة نائية فى جزيرة من جزر الهند الشرقية ، وتزوج بفتاة من أهالى تلك البلاد . وهدأت نفسه هناك إذ لاءم بين نفسه وبين بيئته الجديدة . . كان فى باريس يعيش مغموراً بين لمعات مشهورين ، ولكنه يعيش الآن مغمورا بين أشقياء مثله مغمورين . . وخلا للفن ، وخلا الفن له ، وراح يرسم لا لشىء إلا لمتعة الرسم . . راح يرسم لنفسه ، منعزلا عن العالم ، متعالياً عما فيه من خير وشر ، وحسن وقبح ، ثم تفرغ لعمله الأكبر . لم يكتف

شعوره بعذاب الوحدة ، ووحشة الانزواء ، وجوع الجسد والروح ، يكون حقده على الناس ، وتجسيمه لهفواتهم وهناتهم . . .

* * *

وتطبيقاً لمذهب الفن للفن أيضاً يختار «موم» لقصصه الموضوع الذى يصلح للبناء الفنى بصرف النظر عن مختلف الاعتراضات الأدبية والتقليدية . ومن أمثلة ذلك قصته « الكعك والجعة » Cakes and Ale التى أصدرها عام ١٩٣٠ وصوّر فيها شخصية الكاتب الإنجليزى الكبير « توماس هاردى » ، وفضح أسرار حياته الخاصة ، وعرّض بزوجته الشابة الفاتنة .

وتتلخص القصة فى أن كاتبا مرموقا ، برغم تفاهته تزوج بعد أن تجاوز سن الكهولة ، بصبية حسناء ، وتدلّه فى حبها إلى حد أن أبى الوقوف دون تحقيق أية رغبة من رغباتها ، فتركها تمرح وتستمتع بأية متعة تهفو إليها نفسها . . . رزقت الزوجة طفلا تعلقت به تعلق الأم خالية القلب . ولكن الطفل مات فحزنت عليه حزنا مبرحاً ، وناءت بحزنها الكبير فراحت تلتمس العزاء . . . ولكن ، كيف يكون العزاء ؟ أسلمت نفسها لأول من صادفت . . . وسألها الرجل وهو يهم بالانصراف عنها : « لماذا تخونين زوجك ؟ » . فأجابته فى دهشة وامتعاض : « أخون زوجى ؟ ! . . . هذه كلمة

بلوحة يلوّنها ، ولكنه راح يصور على حائط داره المتضعة خواطر ذهنه غير المشتغل إلا بذاته ، ويعبر عن أحاسيس عقله الباطن وأوهامه . . . وراح يسجل هذا وذاك فى صور بلغت من الإتقان الفنّى والروعة الجمالية أوجهما . . رسم ذلك كله لنفسه ، وحبسه عن العيون داخل داره ، وقضى ألا يراه الناس إلا من يحج إليه متعبداً متهجداً . . . ولكن وباء دهم تلك الجزيرة وحصد أهلها حصداً ، وجاءت بعثة طبية لمقاومته ، ورأت فيما رأته من وسائل الوقاية أن تحرق البيوت الموبوءة ، وحرقت دار الفنان دون أن ترعى فى ذلك للفن حرمة ، وأتلفت النيران الآية الفنية الكبرى فى سبيل الحفاظ على بضع آلاف من حيوات التافهين من البشر . . . ( وإذا كان المؤلف لم يصرح بذلك فهو يومئ إليه ، وتطبيقاً لمذهب الفن للفن ، يضع الفن فوق الحياة ) .

لقد فسرت لنا هذه القصة جوانب متعددة من عقلية «موم» ونفسيته . فهو لم يبرر لنا فيها إخفاقه المبكر فى ميدان الرسم فحسب ، ولكنه فسّر مذهبه فى الفن وهو « مذهب الفن للفن » فالفنان الأصيل فى نظره لا ينفعل بما ينفعل به الناس . أو هو يبتعد عن الناس وينعزل على قدر ما يحققه من سموّ فنى . . . إنه يعيش لفنه ، أو يعيش لنفسه ، وتظل آياته الفنية فوق متناول الناس ، أو خافية على الناس حتى يأتى عليها البلى ! . . . ويترتب على ذلك دون شك أنه على قدر

كبيرة . . . أنا لا أخون زوجى ، فهو على علم بكل ما أقترف . . . أنا أعترف له بكل شىء ! ! . . » ، أما الزوج فيبرر مسلكه بأن زوجته الحسناء أشبه بالوردة التى تتفتح للناس ، ولا تستطيع أن تضن عليهم بحسنها وعبيرها ! !

ويكرر «موم» فى هذه القصة نفس المعنى الذى ذكره فى قصته عن سيرة الرسام جوجان . فهو يصف ذلك الكاتب الشهير بالتفاهة والإسفاف ، ويقول عن هاتين الصفتين إنهما اللتان تجذبان أنظار الجماهير . .

• • •

أراد «موم» أن يكون فى قصصه محللا لنفوس البشر ، ناقداً لسلوكهم ، مصوراً لحقيقة طباعهم وسجاياهم . ولكن ظروف حياته التى تحدثنا عنها جعلته لا ينظر إلا إلى جوانب النقص والعيب والشر فيهم ، مغضياً النظر عن جوانبهم الأخرى الطيبة الفاضلة الخيرة . . . لقد جعلت تلك الظروف منه ناقداً متشائماً ، كلبى النزعة ، هدام الغاية . فهو إذ يضطر إلى الاعتراف بميل بعض النفوس إلى الخير وتشبثها بالفضيلة يصور ذلك على أنه عرض لا يلبث أن يتبدد أمام الشر الذى جبلت عليه النفوس ، وقد يصوره نزعة عارضة غير طبيعية لا تلبث النفوس أن تعود بعدها إلى حالتها الأولى . . . وخير مصداق على ذلك ما جاء بقصته (القناع المموه) The Painted Veil. . . . تدور حوادث هذه القصة فى ثغر من ثغور

الشرق الأقصى ، وتبدأ بمشهد مثير . . . زوجة تخون قرينها في منزل الزوجية . . . كانت مرتمية بين أحضان عشيقها في غرفة الجلوس حينما شاهدت ستار الباب يتحرك ، أو خيل إليها أنه يتحرك ، فأفاقت مرتعبة من نشوة الحب الآثم ، وأفضت إلى عشيقها بما رأته ، أو بما خيل إليها أنها رأته ، وبرغم فزع العشيق راح يطمئنها ويطمئن نفسه بأن زوجها لن يعود من رحلته إلا بعد أيام ، وأن ما رأته محض أوهام .

ولكن الزوج كان قد رآها متلبسة بالخيانة فعلا ، وأنبأها أنه كان على علم من قبل بعلاقتها الآثمة بذلك العشيق ، وأنه سيسافر متطوعاً إلى بلاد نائية لمكافحة وباء انتشر فيها . فاعترفت له بأنها لم تعد تحبه ، وأنها تطلب الطلاق لتتزوج من حبيبها الجديد . . . ولكن الزوج الذى راعى العشرة القديمة أخبرها أنه لن يرغمها على البقاء معه ، فهو على أتم استعداد لتطليقها بشرط أن يتعهد ذلك العاشق أن يتزوجها بعد طلاقها . . . وتحمرت الفرحة قلب المرأة التى أعماها الحب ، وطارت إلى حبيبها تزف إليه هذه البشرى ، فلم يبق بينهما وبين السعادة الكاملة إلا أن يكتب لها كلمتين يتعهد فيهما بقبوله الزواج بها . . . وبهتت تلك الغافلة إذ رأت وجه العاشق المدله يكفهر من حيث قدرت أنه سيتهلل . . . وكادت تشك فى صدق أذنيها حين سمعته يقول إنه لا يستطيع التوقيع على مثل هذا التعهد . ونظرت إليه

بازدراء وهو يحاول تبرير امتناعه عن إجابة طلبها بأن الأمر يتعلق بسمعتها قبل أن يتعلق بسمعته ، وبمستقبلها قبل أن يتعلق بمستقبله .

وعادت إلى بيتها فوجدته خالياً ، وأوحشها ألا ترى زوجها فيه . وظهر لها الفرق الواضح بين ذلك الزوج الذى راعى شعورها ، وأبقى على كرامتها ، وبين ذلك العاشق الفاسق الذى آذى شعورها وأهدر كرامتها . . . وعقدت عزمها عندئذ على التكفير عن خطيئتها بالإقدام على أمر خطير . . . عقدت عزمها على التطوع هى الأخرى لمكافحة الوباء . . فإما أن يقضى عليها الوباء فيطهرها حينئذ الموت ، وإما أن تناضل مع المناضلين حتى تتغلب عليه ، فيخفف عملها الطيب من فداحة جرمها . .

وفاجأت زوجها بمقدمها ، ولم تكن تتوقع ترحيبه بها ، فقابلها بإعراض وازدراء لم تتوقعهما كذلك . وقال لها فيما قال إنها جاءت إلى مكان لا موضع فيه لعبث العابثات ، ولكن المرأة الشقيّة التى برّحت بها الإهانة والعار أكدت له ندمها وتوبتها . وطالعت فى نظراته الإنكار فراحت تلح عليه أن يجربها ، وتقسم أنها جاءت تنشد الموت لتمحو عارها . . . وأذعن الزوج لتوسلاتها ، وعملت معه جنباً إلى جنب فى مكافحة الوباء اللعين ، فكانت تضرم النار فى الأكواخ الموبوءة ، وتنقل المصابين بالداء إلى المستشفى ، وتنفق الليل

فى السهر عليهم ، وتغالب التعب والنعاس ، وتواجه الموت متحدية ، بل متمنّية أن يختطفها وينقذها من عذابها النفسى .

ولم تغفل عين الزوج عن مظهر زوجته ومخبرها . كان يبصر جهادها المستميت فى سبيل إنقاذ المعرّضين للموت . وكان يرى المعركة الناشبة فى نفسها وقد أثارها تأنيب ضميرها ، فارتاحت نفسه لما أبصر ورأى ، وتبدد حنقه عليها ، وغفر لها ما سلف . . . وتعرضت الزوجة لمحنة طهرت ما بقى بنفسها من درن . فقد أصاب الوباء زوجها فقامت على تمريضه ، وسهرت عليه الليالى الطوال ، وتمزقت نفسها أسى عليه ، وإشفاقاً على نفسها من بعده . ولكن الداء ألح عليه ، وعز الشفاء ، وتربّص الموت للانقضاض عليه . . وقال الزوج لزوجته وهو يسلم الروح : إنه يموت راضى النفس ، مستريح البال ، بعد أن استوثق من توبتها ، وبعد أن رأى من بذلها وإيثارها ما هو جدير بالتكفير عن أكبر الذنوب . . وأسلم الزوج الروح وهو مطمئن على زوجته . وأقسمت الأرملة على جثته أن تقضى ما بقى من أيامها فى خدمة الفضيلة والخير .

عادت إلى بيتها وحيدة كسيرة القلب . وأخذت تستعد للسفر إلى إنجلترا مسقط رأسها ، وصك أذنيها على غرّة طرق على الباب بينما كادت تفرغ من إعداد حقائبها . وفوجئت بما ارتعدت له فرائصها فزعاً وغضباً . . رأت الرجل الذى

خدعها وخذلها وأهانها يدخل عليها الغرفة باسم الثغر ، مشرق الوجه ، وكأنما العلاقة القديمة بينهما ما زالت على عهدها دون أن يطرأ عليها ما يعكر صفوها . .

صرخت فى وجهه « ماذا تريد ؟ لاتدنّس هذا المكان بوجودك . . . . اخرج » ، وابتلع الرجل إهانتها ، وابتسم لها حتى لكأنها تصد عنه دلالا . . وأقبل عليها وهى تتراجع مذعورة . . ولامها على سوء لقائها له . وأقسم أنه لم يذق للنوم وراحة البال طعما منذ رحيلها ، وأنه ازداد فى غيبتها تعلّقاً بها ولهفة عليها . . . وكانت تدفعه بعيداً عنها وهو يحاول ضمها وتقبيلها . وظل النضال بينهما على أشده ، وخوفها يزيدها ضعفاً ، ورغبته المتأجّجة تزيده قوة وبطشاً . وتمكن بعد جهد أن يطوق خصرها بذراعيه القويتين ، وأن يضمها إلى صدره ، فارتجفت وتخاذلت . . . ثم تمكن ثغره من ثغرها فانهارت البقية الباقية من مقاومتها . . .

ولم تستطع الحراك على أثر مغادرته الغرفة ، فقد سحقها الخزى والعار واليأس . . .

ولا يظنن القارئ أن «موم» عرض هذه المرأة فى قصته على أنها نموذج لصنف من النساء ، ولكنه عرضها بحسبانها أنموذجاً لبنات حواء عامة . . . فهذا هو رأيه فى الإنسان قاطبة سواء فى ذلك الرجل والأنثى ، وليس أدل على هذا من الرجوع إلى قصصه وتمحيصها ، فهى تنضح دائماً بتلك النزعة

التشاؤمية الكلبية المنكرة لوجود الخير والفضيلة .

وسنقتصر هنا على ضرب عدد قليل من الأمثلة لذلك ، ففى قصته : « المطر The Rain » نجد على ظهر سفينة تمخر المحيط الهادى قساً لم يتوان عن تأدية مهمته الدينية حتى أثناء سفره . فهو لا يكف عن الإثقال على رفقائه بمواعظه التى لا ينضب لها معين . وكانت السفينة تضم فيمن تضمه من المسافرين غانية تحترف الرقص لعلها كانت أولى من غيرها بوعظ القس ، ولكن هذا الواعظ الورع ازدراها ، وأشاح بوجهه عنها بدل العطف عليها ومحاولة هدايتها .

رست السفينة فى أحد ثغور الشرق الأقصى ، ولم يكن به إلا نزل واحد يأوى أولئك المسافرين . وانهمر وقتذاك مطر كأنه يتدفق من أفواه القرب . وهرع الجميع إلى ذلك المنزل ، ولكن القس أبى على الغانية الراقصة أن يضمها وإياه سقف واحد . . . فالشيطان يتقمص جسدها ! ومن المستحيل أن يرضى مثله برفقة الشيطان ! . . وتوسط لديه بعض الحاضرين وقالوا إنه يحكم عليها بالموت إذا تركها تبيت فى العراء تحت وابل ذلك الغيث المنهمر . وقبيل بعد لأى أن تبيت ليلتها فى النزل على أن تبحث لها فى الصباح عن مكان آخر تنزل فيه .

وجلس القس فى بهو النزل ، ورشقت عيناه الغانية مرة بعد مرة ، ورآها تقوم وتخرج من البهو ، وخفق قلبه لمشيتها

الراقصة التى زادت قطوف جسدها حسناً ورواء . . .
وتقمّص الشيطان جسده هو أيضاً ، ولدغت جوانبه رغبة ملحة فى لمس هذه القطوف اليانعة ، ولم يستطع كبح جماح نفسه ، وأقبل عليها يلاطفها متظاهراً بأنه يحاول هدايتها . . .
وفى الهزيع الثانى من الليل سمع جميع من فى النزل صراخاً صادراً من غرفة الغانية ، وهرعوا إلى مصدر الصوت ، فوجدوا باب الغرفة ينفتح بعنف ، ويخرج منه القس مهرولا وهو يحمى رأسه بيديه ، ومن ورائه الغانية تضربه وتصيح : « أتدّعى الورع وأنت أفسق الفاسقين ، وأحط خلق الله أجمعين ؟ ! . . . » .

وفى إحدى قصص هذا المؤلف المتشائم نجد رجلا يبدو طيباً خيراً ، ولكن نفسه تنطوى على الشر برغم ذلك المظهر الخلاب . كان رجل أعمال ناجح واسع الثراء ، جاءه مرة شاب معوز يطلب لديه عملا ليرتزق . وألحّ عليه فى الطلب حتى ضايقه بإلحاحه . فخطرت للرجل فكرة جهنمية أمدته بلذة شيطانية . راهن الفتى على قدر كبير من المال يعطيه إياه فيما إذا استطاع ( أى الفتى ) أن ينزل إلى البحر ويقطع المسافة من الشاطئ إلى الفنار سباحة ، وكانت المسافة طويلة ، والأمواج العالية المتكسرة على الصخور المحيطة بالفنار تدّخر للمقترب منها موتاً محققاً . وقبل الفتى الرهان الإجرامى وقد تمكن منه الغرور واليأس . وسبح حتى وصل

إلى المكان الـ هيب ، فقذفت به الأمواج القاسية إلى الصخور ، وظلت تجره وتقذفها به دواليك حتى هشمته ثم ابتلعته . . .

وللمؤلف قصة قصيرة أخرى صاغها على عكس القصة القصيرة المشار إليها وإن كان قد استدل بها على نفس المدلول . ومحصلها أن أفاكاً خلاب الأسلوب فى معاملته للناس ، استرعى انتباه المسافرين معه فى رحلة على ظهر إحدى البواخر العابرة للمحيطات . وانخرط إحدى الليالى فى سلك مجلس يضم امرأة وزوجها وبعض أصدقائهما . وأخذ القوم يسمرون ، وتحدث الرجل عن نفسه ، وتباهى بأن خبرته فى تمييز الجواهر لا تدانيها خبرة حتى أنه يستطيع كشف الزائف منها لأول وهلة دون الاستعانة بمنظار . وكانت الزوجة ترتدى عقداً يتلألأ تحت أضواء الثريات الساطعة ، فراهنه الزوج على معرفة حقيقة ذلك العقد أهو زائف أم أصيل . وامتقع وجه الزوجة . فقد كانت توهم زوجها أن المجوهرات التى تتزين بها زائفة ، وأنها تشتريها بثمن بخس ، فى حين أنها كانت هدايا من عشيقها الموسر . . . ونظر الرجل إلى العقد ، ولم تغب عنه نظرة توسل صوبتها الزوجة إليه . وكان من عادته أن يبيع أعز الحرمات فى سبيل الفوز بأى مبلغ من المال . . . ولكنه تردد هذه المرة ، وحزت نظرة المرأة فى نفسه . . . وأسرع إلى قوله إن العقد زائف . وخسر الرهان . . . وتنفست المرأة الخائنة الصعداء . . . هكذا

يعرض «موم» الأمور . فهو يعد التستر على الزوجة الخائنة عملا كريماً . ويرى أن الذى قام بهذا العمل الكريم رجل خسيس خرج على عادته لنزوة طارئة لا لأن الخير والشر يعتملان فى النفوس . . . فالحسة ديدن النفوس ، والنخوة نزوة عارضة ! ! .

• • •

ويضيق «موم» بمختلف المجتمعات سواء أكانت متمسكة بالتقاليد الموروثة ، والقواعد الأخلاقية المقررة ، أم خارجة عليها . وقد عبر عن ذلك فى قصته « عطلة كريسماس » . وهى قصة فتى إنجليزى أراد والداه أن يظهرا رضاهما عنه . فسمحا له أن يقضى عطلة رأس السنة فى باريس . وهناك ارتاد المراقص الباريسية ، وأذهله ما رأى فيها من أفانين اللهو والفجور وهو الإنجليزى البوجوازى الذى عاش بين مجتمع محافظ متزمت . . عرف فى أحد تلك المراقص بنتا من بنات اللهو ، وجذبه إليها ما تميزت به من رقة ودماثة وجمال وسألها عن الظروف التى انتهت بها إلى احتراف الرقص فروت له قصتها . قالت إنها روسية الجنس هاجرت إلى باريس لأسباب سياسية ، ومال قلبها إلى فتى باريسى وسيم وبادلها الفتى حباً بحب ، وكانت الفتاة وقتذاك شريفة متمسكة بأهداب الفضيلة . ولم يكن محيص من أن تنتهى مثل هذه العلاقة بالزواج . وكانت أم الفتى قمينة أن تمانع فى أن يعقد

ابنها على فتاة أجنبية ، وهى العجوز المتمسكة بتقاليد قومها . ولكنها أعجبت بالفتاة ، ورضيت بها زوجة لوحيدها . وأراد الزوج بعد عقد الزواج أن يوفر لزوجته الرفاهية ومحبوحة العيش ، فلم يجد لذلك وسيلة أيسر من السرقة . . . سرق وقتل ضحيته ، ووقع فى قبضة الشرطة ، وزُج به فى السجن . وحز فى نفس الزوجة العاشقة أن يرتكب حبيبها هذا الإثم . . . اعتزمت عندئذ أن تذل نفسها لتكفر عن إثم زوجها . . . وهكذا باعت نفسها للشيطان ، وأهدرت كرامتها فى ميدان الرذيلة ! . . .

وبكت الفتاة بعد أن روت قصتها . . . وتساءل الفتى الإنجليزى أهذه قصة حقيقية ؟ . . . لا ، بل قصة ملفقة تستهدف بها الفتاة تبرير العهر والفجور . . .

وعاد الفتى إلى وطنه ، واستأنف حياته بين مجتمعه مرتاحا إلى ابتعاده عن البيئة التى عاش بين ظهرانيها . . . ولكنه بدأ يرى ما لم يكن يراه قبل تجاربه الباريسية . رأى حياة قومه تقوم على الرياء والنفاق أيضاً رغم مظهرها المحافظ المتزمت . فأنف من تلك الحياة مثلما أنف من حياة المجتمع الباريسى . . .

ولكن الذى يذكر «لوم» بالحمد أنه فى معرض الحديث عن العلاقة بين المتحضرين البيض والأجناس الأخرى ، يشدد النكير على قومه البيض ، ويعطف على الأجناس المتخلفة ، وكأنه يريد أن يقول إن الحضارة الغربية هى التى تضاعف

الفساد بغرس الزهو الباطل والغطرسة الممقوتة فى النفوس . وقد وضح رأيه هذا فى قصته المعروفة « الرسالة » The Letter . وحوادث هذه القصة تقع أيضاً فى إحدى جزر الهند الشرقية . ومحصلها أن امرأة انجليزية قتلت أحد أصدقاء زوجها بينما كان هذا الأخير على سفر ، وادعت فى التحقيق أنه زارها منتهزاً فرصة غياب زوجها وحاول اغتصابها فاضطرت إلى إطلاق الرصاص عليه صونا لعرضها ، ودفاعاً عن شرفها . وبدأ هذا الدفاع مقنعاً للمحقق ، ولكن الحقيقة كانت على خلاف ذلك . فالقتيل كان عشيق القاتلة . وكانت تزوره فى بيته خفية لترشف من سلاف الحب الحرام ، وأحدثت الأيام أثرها فى تلك العلاقة ، وأخذ الرجل يمل تلك الزوجة الغادرة . ثم صارحها يوماً بأنه لم يعد يحبها ، وأنه يريد قطع علاقته بها . وحز ذلك فى نفسها ، ولكن الذى أطاش صوابها أنه استبدل بها فتاة « أسيوية » ! . . أهناك إهانة يمكن أن تلحق « سيدة » أوربية أبلغ من تلك الأهانة ؟ . . أترقد تلك الخادم الصفراء القذرة فى نفس الفراش الذى كانت ترقد هى فيه ؟ ... أتحل محلها بين أحضان الرجل الذى تحبه ؟ ... أيؤثرها ذلك الرجل عليها ؟ ! . صممت على أن تغسل تلك الإهانة بالدم ، فكتبت إلى الرجل رسالة تدعوه فيها إلى زيارتها ، وتتنحل لذلك عذراً . . . ونفذت الخطة الجهنمية التى أعدتها ، وثأرت لكرامتها المهدرة . . . وقتلت الرجل.

وجاءها ذات يوم رسول من قبل غريمتها الأسيوية ، وأخبرها أن هذه المرأة تحتفظ « بالرسالة » التى سبق أن بعثت بها للقتيل ، وأن المرأة المذكورة على استعداد لرد الرسالة إليها بشريطة أن تأتى إليها بنفسها ، وتنحنى أمامها ، وتطلب ذلك منها جاثية على ركبتيها . . . وتغلب جبن السيدة الأوربية على كرامتها المصطنعة ، وذهبت إلى المرأة التى تحتقرها وتمقتها ، وانحنت أمامها مزدردة كبرياءها ، وتوسلت إليها أن ترد لها رسالتها . . . جاثية على قدميها . . .

• • •

ومن النقد المرير الذى وجهه «موم» للمجتمع الأوربى أن العلم يضر بصاحبه بينما الجهل يعود عليه بالخير الجزيل . وقد عبر عن ذلك فى قصة قصيرة ملخصها أن البابا أصدر أمراً بألا يشغل وظيفة شماس فى مختلف الكنائس إلا من يحسن القراءة والكتابة ، وأعطى مهلة للشمامسة الأميين يحصّلون خلالها العلم الذى فاتهم أن يحصلوه ، وانعقد لهم امتحان بعد انقضاء المهلة ، ورسب أحدهم فى الامتحان . . . ومنح مهلة أخرى ، ولكن تحصيل العلم استعصى عليه ورسب مرة ثانية . . . وفصل من خدمة الكنيسة . قصد بعد فصله إلى داره كسير القلب ، محطم النفس ، وهفت نفسه فى الطريق إلى لفافة يدخنها . وجعل يتلفت فى أثناء سيره يميناً وشمالا لعل

عينه تقع على دكان سجائر ، ولكنه لم يجد ما ينشده . وكان جيبه منتفخاً حين ذاك بمبلغ المكافأة التى حصل عليها نظير خدمته الطويلة ، ولم يستقر رأيه على كيفية استثمارها ، فخطر له عندئذ أن يفتح دكاناً لبيع السجائر فى ذلك الشارع . . . ونفذ هذه الفكرة ، ونجح فى هذه التجارة ، وتضاعفت أرباحه . وأنشأ دكانا جديداً لبيع السجائر فى مكان آخر ، وزوّده بالحلوى واللعب لبيعها إلى الأطفال ، وظل ربحه فى ازدياد مطرد . . . وقصد يوماً إلى البنك ليسحب منه مبلغاً من المال يضيفه إلى رأسماله التجارى ، واستقبله مدير البنك فى مكتبه ، وأمر باستحضار المبلغ المطلوب ، وسلمه للتاجر الثرى وطلب إليه توقيع إيصال بتسلم المبلغ ، ولكن التاجر اعتذر بجهله للقراءة والكتابة . . . وعجب مدير البنك لذلك ، وسأله متعجباً : « أتحقق هذا النجاح الضخم فى التجارة وأنت أمى . . . ؟ فكيف تكون حالك لو أنك متعلم ! ؟ . . . » فأجاب الرجل ببساطة « أكون إلى الآن شماساً للكنيسة . . . » .

* * *

أراد « موم » من كتابة القصص المشار إليها أن يتحف العالم بأدب واقعى يصور نفوس البشر على حقيقتها ، ولا شك أنه قدم لنا صوراً فنية صادقة لكل ما صوره . . . نقول صادقة من باب التجاوز لأنها تصور ناحية من الأصل ، وتهمل

نواحيه الأخرى . فهى تصدق فى تصوير الناحية التى عكستها ، وهى تكذب حين توهمنا أن هذا هو الأصل على حقيقته ، لأن النقصان يعتورها حين تعرض الجزء على أنه كل . . أليست تجتزئ الأصل وتشوهه ؟ ؟ إن هذا الفنان العملاق يسلط قدرته التصويرية الخارقة على جانب من النفوس البشرية ، وهو الجانب الضعيف ، فى حين أن هذه النفوس تختزن جميع الميول التى لا يظهر منها إلا ما تبرزه ظروف الإنسان وملابسات حياته . والإنسان خيّر بطبعه ، ولا تستثير شروره إلا ظروف خارجية طارئة ، أو رغبات جائعة لم تشبع .

بدأ «موم» حياته الفنية آملا أن يصبح كاتباً واقعياً صادقاً ، وختمها كاتباً مثالياً يهرب من الحقيقة ويشطح وراء تصاوير الأوهام . . . لقد أصبح كذلك فى أهم قصة من قصصه الأخيرة ، وهى قصة « حد الموسى » .

تصور هذه القصة فتى أمريكياً ضاق بالحياة المادية المصطنعة فى بلاده ، وتعطشت روحه إلى الانطلاق من قيودها الثقيلة المرهقة ، وتطلعت إلى ما وراء سياج ماديتها المزهقة ، فانطلق الفتى فى فجاج الأرض باحثاً عن الحق ، راجياً أن يجد لدى وقوفه عليه راحة البال بعد ما عانى من السأم والضيق ما عانى بسبب خيبة أمله فى الحب ، وفى السعادة وراحة البال . وطوى السهول والجبال ، وقطع الأنهار والمحيطات ،

وطوف فى كل صقع ، ودرس مختلف العقائد والآراء والتقاليد منقباً عن ذلك الحق المنشود ، ولكنه لم يجد ما يشفى ظمأه المبرح ، ويعيد الطمأنينة إلى نفسه المعذبة حتى نزل بلاد الهند ، والتقى هناك على ظهر جبل عال ناء خاو منعزل عن الناس ، بزاهد حكيم منقطع للعبادة والرياضة الروحية . ووقف من هذا العالم على فلسفة البوذية والصوفية ، فوجد فيها ما ينشده ، وارتوت نفسه الظمآنة ، وارتاح باله المبلبل . . ويعود من الهند إلى موطنه وقد أصبح إنساناً آخر مختلفاً كل الاختلاف عما كان عليه . . . أحس أنه تطهر من أدناس الإنسان وأوصابه ، وشفى من شر أدواء البشر وهو داء الغرور ، وأصبح لا يبالى بحماقات الناس وتفاهاتهم ، بل أصبح يشفق عليهم من تباهيهم برغم عجزهم وضعفهم .

هذا هو رأى «موم» فى البشرية ، وفى وسيلة تطبيبها وتطهيرها من ذنوبها وعيوبها . . . وقد يسأل قارئ : لماذا إذن نترجم أعمال هذا المؤلف وهو على ما وصفناه ؟ ولكأن هذا القارئ يريد أن يقتصر اطلاعنا على لون واحد من الأدب ، وهو المشرق المتفائل ! ! وبرغم أن هذا اللون الأخير هو خير ألوان الأدب وأشرفها ، إلا أن ذلك لا يجوز أن يصرفنا عن الاطلاع على سائر تلك الألوان ، فالثقافة لا تكتمل إلا بإلمام ناشدها بمختلف جوانبها . . . و«موم» إمام من أئمة الأدب الإنجليزى الحديث ، بل إنه إمام الكتابة

التشاؤمية الكلبية فى هذا العصر ، وبذلك يكون الاطلاع على أعماله الأدبية ضرورة لا غنى للمثقفين عنها . ثم إنه أستاذ لا يبارى من ناحية أخرى سبق أن تحدثنا عنها ، وهى ناحية الصياغة القصصية وأسلوب الكتابة ، فهو خير من يجيد فى هذا العصر تصميم القصة ، وخير من يصوغ المعنى فى أوضح عبارة وأبلغها وأجملها ، إنه كالتاجر اللبق الذى يعرف كيف يعرض عليك بضاعته ، فهو يبرز نواحى جمالها ، ويحملك على النظر إليها من الزاوية التى تبدو منها فى أحسن حالاتها . . . إن «موم» يعرف كيف يخلب لبك ، بل كيف يسحرك ببساطته المعجزة فى التعبير عن أدق المعانى ، وفى خلق الجو الذى يجعلك تعيش مع شخوص القصة ، وتختبر طباعهم ، وتكابد معهم ما يكابدون من صعاب . ولا شك أن أدباءنا فى حاجة إلى تلقن دروس عنه فى هذا المضمار ، ومما يدل على أهمية أعماله الأدبية أن الاتحاد السوفيتى قرر ترجمة مؤلفاته إلى الروسية برغم اختلاف وجهات النظر . . . إن «موم» من أدرى الناس بمداخل الفن ومخارجه ، كيف لا وهو من أشد المتعصبين لمذهب الفن للفن ! . . إنه يضع الإتقان الفنى فوق المضمون ، وفوق المعنى ، بل وفوق الحقيقة الواقعية . . . فلا عجب إذا بلغ إتقانه الفنى الذروة العليا . ولا عجب إذا أقبل الأدباء على مؤلفاته يتعلمون منها أصول الفن ، وأسرار تجويده .

* * *

بيد أن الرأى فى الملهاة التى نقدم لها هنا يختلف عن الرأى فى أعمال «موم» التى حدثنا القارئ عنها . فقد سلمت من روح التشاؤم الكلبى الذى ساد بعض قصصه ، بل لعلها نسجت على منوال مختلف عن منوال تلك القصص . . وقد آن أن نقول عنها كلمة تكشف عن اتجاهاتها السليمة التى دعت إلى اختيارها لنقلها إلى اللغة العربية .

يصور لنا المؤلف فى هذه الملهاة امرأة حصانا تخلص لزوجها برغم خيانته لها ، وتستطيع ببقائها على عهده أن تستميله إليها بعد هجره لها ، وتستعيد حبه بعد سلوانه . . . وقد اختار لبطلة القصة اسما صار منذ القدم رمزاً لوفاء الزوجة الحصان ، وهو اسم « بينيلوبى » ، بطلة ملحمة الأوديسة . .

بينيلوبى هذه هى زوجة أوديسيوس فارس حرب طروادة وبطلها المغوار الذى استطاع بشجاعته وقوة ساعده ، وجرأة جنانه ، وسعة حيلته فى الحرب ، وصبره على الشدائد . أن يقهر أعداءه ، ويخرج من غمار تلك الحرب الطويلة المضنية منتصراً . ركب البحر بعد انتصاره ميمّماً وجهه شطر وطنه وقد برح به الحنين إلى زوجته « بينيلوبى » ، ولكنه ضل فى فسحة البحر الزاخر ، ورمت به الأقدار إلى بلد الفاتنة « كاليبو » ، ووقع المحظور ، وهامت به هذه الغادة هياماً ، بل جنت به جنوناً ، ولم تزل به تغريه وتصبيه حتى علق بحبائل حبها ، وكاد ينسى بين أحضانها زوجته الشريفة المخلصة .

وظن ملوك اليونان ، بعد أن طالت غيبته ، أنه لقى حتفه ، أو أنه لن يثوب ، فطمع كل منهم فى الزواج ببينيلوبى ، وتودد إليها ، وطلب منها أن تقبله بعلا ، وألحف فى طلبه . ولما ضيق أولئك الملوك عليها الخناق ، وطالت مراوغتها لهم وخشيت مغبة إعراضها عنهم ، وإهمال طلبهم ، وعدتهم أن تختار من بينهم زوجاً لها عند ما تفرغ من نسج ثوب الزفاف . وعكفت على منوالها ، ودأبت على نسج ذلك الثوب . ولكنها كانت تنقض أثناء الليل ما نسجته خلال النهار ، آملة أن يعود إليها زوجها الحبيب فى غضون ذلك بعد طول الغياب . . . ولم يخب فألها ، وعاد زوجها الحبيب مستخفياً . . . ووقف على ما كان من أمر زوجته . . وعرفه ابنه تليماك . . ودبرا معاً خطة استطاعا بها أن يقضيا على أولئك الملوك الطامعين فى الزواج من بينيلوبى . . والتأم شمل الزوجين . وعاد أوديسيوس أشد حباً ووفاء لزوجته من قبل . . . اختار «موم» اسم بينيلوبى الوفية لبطلة ملهاته التى تصور جانباً من حياة أسرة إنجليزية متوسطة الحال ، هى أسرة أوفاريل المكونة من زوج طبيب يدعى ديكى أوفاريل ، وزوجة تدعى بينيلوبى . . . وصل إلى علم الزوجة أن زوجها يخونها فأرسلت فى طلب أهلها ، وحضر إليها فى الميعاد الذى حددته كل من أبيها « تشارلز جولايتلى » ، وأمها « إيزابل جولايتلى » ، وخالها « دافينبورت بارلو » و « بيدزوورث »

محامى الأسرة . وبعد أن انتظم عقد الحاضرين أنبأتهم أن زوجها ديكى اتخذ له عشيقة تدعى « أدا فيرجسون » ، وقالت إنه أخذ منذ ذلك الحين يطيل هجره لها ، ويكذب عليها ، ويهمل شأنها وهى لا تدرك لهذه الخيانة سبباً ، فقد أحبت زوجها حبا صادقاً ، بل هامت به هياماً ، وأخلصت له كل الإخلاص ، ولذلك فقد حز غدره فى نفسها ، ولم يعد يشفى لوعتها وكرامتها الجريحة إلا أن تهجره ، على أن يكون ذلك بعد أن تشتبك معه فى شجار مشتعل الأوار ، وتفضحه أمامهم جميعاً . . . ولم تجد بين الحاضرين عاقلا يرد لها صوابها إلا أباها الذى حسبته الأسرة عالماً نظرياً لا يعرف من أمور الدنيا شيئاً . ولكن العالم النظرى الذى يحل المشكلات بالأرقام هو وحده القادر بأرقامه ، وتحليله المادى ، على الوصول حتى فى الحياة العملية إلى النتائج الصحيحة الحاسمة . سأل الأب ابنته عما إذا كانت لا تزال تحب زوجهـا ؟ فأجابت بأنها تهيم به حباً ، فقال لها إن جمع واحد وواحد يساوى اثنين ، ولا يمكن أن يساوى ثلاثة . . . والطلاق الذى تطلبه لا يحقق لها ما تنشده ، بل يأتى بعكس النتيجة المرجوة . أليس ما تنشده أن تستعيد حب زوجها ، وتعود المياه إلى مجاريها ؟ وسألت الابنة أباها فى لهفة : أتحسب فى الإمكان أن أسترد حبه المفقود ؟ وعند ما أجاب أبوها بالإيجاب كادت تقفز من مقعـدها ، وتلألأ نور الأمل فى عينيهـا .

وأخذت تردد السؤال : كيف ؟ كيف ؟ . . . كيف ؟ !
وأجاب أبوها فى هدوء العلماء إن الأمر يحتاج إلى قدر كبير من الحكمة ، وقدر كبير من الصبر ومن اللباقة . . ؟ وقالت بينيلوبى وهى لا تكاد تلتقط أنفاسها : « أنا على استعداد للقيام بكل ما تفرضه على يا أبى فى سبيل الفوز بحبه من جديد . . . »

وهنا يبدو رجل العلم على حقيقته . إنه يرسم الخطة التى تؤدى إلى النتيجة المنشودة دون أن يقيم وزناً للتقاليد والمعنويات والعواطف البشرية . . . قال جولايتلى لابنته « يجب أن تكتمى عواطفك الحقيقية عن زوجك ، وتظهرى له غير ما تبطنين . لا تجلسى على ذراع مقعده وهو يدخن غليونه ويقرأ صحف الصباح . لا تلحى فى سؤاله عما إذا كان يحبك ، وتكررى ذلك فى الصباح والمساء . وإذا خرج من الدار لا تسأليه : إلى أين ؟ وإذا عاد فلا تسأليه من أين ؟ ثم عليك بالإقدام على ما هو أشق مما سبق . عليك ألا تظهرى له قط أنك تشكين فى أمر علاقاته بأدا فيرجسون ، وعليك فوق ذلك أن تتيحى له فرص الالتقاء بها حتى يشبع منها ، ويزهد فيها ، ويفقد حبه لها متعة الشىء المحرم الخاف العزيز المنال . . . أما أنت فلا تعطيه إلا القدر القليل من حبك ، ولا تمكنيه منك إلا بمقدار ، وتشعريه دائماً أن بك من المحاسن الخافية ما لم يكتشفها بعد ، وأنك حصن لا ينال إلا بالاقتحام . . »

وقالت بينيلوبى ذاهلة : « ولكنك تطلب إلى أن أصبح غولا مخيفة ! ! » وصاحت أمها السيدة جولايتلى : « ما هذه النصائح غير الأخلاقية ! » ولكن الرجل أصر على أن ما رسمه هو الطريق الوحيد لإسعاد ابنته . ولم تجد الابنة بداً من اتباع ما أشار به أبوها . صارت توهم زوجها ألا شيء يسعدها مثل أن تراه يرتشف من متع الحياة ليروح عن نفسه ويخفف من متاعب العمل . وطفقت تغريه بالخروج للفسحة ، وقلبها يتمزق أسى لعلمها بأنه سيقابل عشيقته . وكان كلما هم بالخروج هشت له ، وودعته بابتسامة حلوة ، فإذا غاب عن بصرها أغرقت فى بكاء عصبى مرير . . . وطال انتظارها للنتيجة المرجوة ، وكاد اليأس يدب إلى قلبها ، ولكن أدا فيرجسون كانت فى هذه الأثناء تتورط فى نفس الأخطاء التى كانت بينيلوبى ترتكبها من قبل . . فهى تثقل على ديكى بفرط حنانها ، وترهقه بحبها إرهاقاً . . . فإذا أراد الانصراف من بيتها طلبت بقاءه مدة أخرى ، وألحت فى ذلك . وإذا أصر على الانصراف سألته إلى أين ؟ ، وأبت أن تخلى له الطريق حتى يحدد لها الموعد الجديد . . . هذا إلى استحلاب ماله بشتى الحيل المنفرة . . وشعرت بينيلوبى فى النهاية بنسائم الفرج تهب . ثم أيقنت أن حب زوجها لغريمتها بدأ يفتر ، واستوثقت أخيراً أنه بدأ يمقت تلك الغريمة ، ويلتمس وسائل الخلاص منها .

ولم تستطع بينيلوبى ذات مرة أن تكتم ضحكها بينما كان زوجها يحاول تضليلها كعادته ، وانطلقت ضحكاتها فى وجه زوجها رنانة مجلجلة . . . وذهل الزوج ، وسألها عما يضحكها . فأجابت بعد أن عجزت عن مواصلة تظاهرها بالغفلة .

« إنى أعلم كل شىء يا حبيبى » .

« عم تتحدثين ؟ »

« عن علاقتك بأدا فيرجسون »

وجفل الزوج ، ولكنه تمالك جأشه وقال فى تعال :

« إن ما تقولينه وهم وضلال » .

وراحت بينيلوبى تشير إلى وقائع تقطع بأنها على علم بكل ما حدث بينه وبين أدا فيرجسون . وأسقط فى يد الزوج وسأل :

« ألست غاضبة ؟ »

« لا يا عزيزى ، فإنك قد رفهت عن نفسك قليلا . وليس من داع إلى تضخيم هفوتك »

وثارت ثائرة الزوج لأن زوجته لم تغضب ، ولم تغر ، ولم تشتبك معه فى شجار عنيف ، وتطلب الطلاق . . اعترف بأنه أخطأ . . . ولكن بين جنبيه ضميراً كان لا يكف عن تأنيبه طوال مدة خيانته . أما زوجته التى لا ترى فى خيانته لها إثماً كبيراً ، فهى التى لا خلق لها ولا ضمير . . . أو هى

على الأقل لا تحبه .

وراحت بينيلوبى لأبيها تروى له ما حدث بينها وبين زوجها . . . وتستطلع رأيه فى الخطة التالية التى تخطوها . فأشار عليها أن تثبت على الخطة التى اختطها فتظل تتظاهر بعدم المبالاة . فإذا أبدى زوجها ندمه الصادق على ما ارتكب ضبطت أعصابها ، وكتمت عواطفها ، وأمسكت عن الارتماء بين أحضانه غافرة ما سلف ، ومغتبطة بعودة المياه إلى مجاريها . . .

ونفذت نصيحة أبيها وهى تتلهف على الارتماء فى أحضان زوجها ، والاستمتاع بوصله . وازداد حب زوجها لها بمقدار صدها ودلالها . وأشرقت الحياة الزوجية من جديد بعد أن اكفهرت وكادت الأنواء تعصف بها .

* * *

هذه الملهاة تختلف فى مضمونها عن سائر مؤلفات «موم» وإن كانت لا تختلف عنها من حيث جمال الأسلوب الروائى والإتقان الفنى . . . فظروف الحياة فيها هى التى تفرض على الناس السلوك الذى لا محيص لهم عن اتباعه . وهى تتطلب أن يصطنع الناس المظاهر المخالفة لطبيعتهم حتى يستطيعوا تحقيق ما يصبون إليه من متعة وسعادة . فها هى ذى بينيلوبى تذوب رقة وتضطر مع ذلك إلى اصطناع عدم المبالاة إلى حد القسوة . وهى تتدلله هياماً بزوجها وتضطر كذلك إلى

اصطناع الجمود والسلوان . ثم هى زوجة حصان حميدة الخصال برغم مظهرها المناقض لمخبرها . وكذلك هى على خلاف بطلاته فى قصصه الأخرى ، أولئك اللواتى يظهرن الإخلاص وهن الخائنات ، ويتباهين بالشرف والفضيلة وهن الآثمات .

ولا نكران أن الملهاة لا تخلو من تصوير الزوجة الخؤون ، فها هى ذى أدا فيرجسون ، عشيقة ديكى ، تخون زوجها ، وهى لا تفتأ تذكر لشريكها فى الإثم أنها غدرت بزوجها من أجله . . . « فى حين يخدم ذلك الزوج وطنه فى بلاد نائية تقع وراء البحار ! ! » . . ويتخذ «موم» من هذه العبارة الأخيرة موضوعاً للتندر والمفاكهة ، ولكنه لا يجعل الخيانة ديدن المرأة كعادته فى قصصه ، فإن ضمير أدا فيرجسون يستيقظ فى آخر الملهاة ، ولا تحاول أن تستجد عشيقاً بعد هجر ديكى لها وعودته إلى زوجته ، وإنما ترحل إلى ما وراء البحار لتلحق بزوجها . . .

وأم بينيلوبى كذلك سيدة طيبة شريفة لم تقض حياتها مخلصة لزوجها فحسب ، ولكنها قضتها كذلك فى محاولة هداية الضالين . . .

لقد خلت هذه الملهاة من النزعة التشاؤمية لأن «موم» اهتم فيها بتصوير الواقع كما هو قبل أن يهتم بإبداء وجهة نظره وإقناع القارئ بها . . . وبذلك جاءت طبيعية صادقة لا

يختلف أشخاصها قيد أنملة عن الأشخاص الحقيقيين الذين نراهم على مسرح الحياة .

لقد اتبع «موم» فى تصوير أشخاص هذه الملهاة ووقائعها الاتجاه الواقعى البحت ، فعكس الواقع كما هو دون أن يفرض على النظارة آراءه الخاصة ، ودون أن يبتعد بفكره وخياله عن الحقائق الموضوعية ، أو يشتط فيفسد بحماسته بساطة الملهاة الطبيعية .

من الواضح أنه كتب هذه الملهاة بأعصاب هادئة ، وفكر مسلط بكليته على الواقع دون ما تأثر بأفكار مسبقة . وهذا هو ما جعلها تتسلسل كالجدول الصافى ، وتكتسى جوانبها بالزهر الخلاب ، ويظل متتبعها يتنقل من واقعة إلى أخرى فى هوادة ويسر حتى يصل إلى خاتمتها السعيدة المبهجة .

وبرغم أن «موم» لم يتوسع فى موضوع الملهاة ، بل حصره فى دائرة ملموسة محبوكة ، فقد استطاع أن ينفى عن النظارة السأم ، بل استطاع أن يشوقهم ويجدد نشاطهم الذهنى بحركة الملهاة الدائبة ، وبما ظل يبتدعه من مفاجآت لا تبهر فحسب ، ولكنها تخدم موضوع الملهاة ، وتزيد بناءها الفنى جمالا وإتقاناً .

والملهاة لا تخلو من موعظة غالية ، ولكنها ليست موعظة يحشرها المؤلف فى عمله الفنى ، بل موعظة الحياة نفسها . . والنظارة لا يتلقنونها من المؤلف كما يتلقن التلميذ الدرس .

ولكنهم يستخلصونها من الوقائع ، ولا يمكن أن يخطئوها . :

وهى تخدم الحياة لأنها تُبرز زيف الحب الحرام فى صدق وواقعية ، وتلفت النظارة إلى متعة الحب الحلال الصادق . . . فهى ملهاة اجتماعية تساعد على استقرار الحياة الزوجية . . . لقد جمعت بين جمال الشكل والمضمون ، ولعل اختيارها لنقلها إلى اللغة العربية يرجع على الأخص إلى هذا السبب .

محمد مفيد الشوباشى

# أشخاص المسرحية

پينيلوپي
دكتور أوفاريل
الأستاذ جولايتلى
السيدة جولايتلى
مستر دافنبورت بارلو .
مسز فيرجسون
مستر بيدزوورث
السيدة واطسون
أحد المرضى
پيتون

زمن أحداث المسرحية ١٩٠٨ .

# الفصل الأول

## المنظر

غرفة استقبال بمنزل أسرة « أوفاريل » الكائن بشارع چون وهى مجهزة برياش بديعة ؛ ولكن فى غير إسراف . وأسرة أوفاريل مكونة من زوجين شابين دخلهما متواضع . . . والساعة بين السادسة والسابعة مساء .

تفتح پيتون الباب ؛ وهى خادم للاستقبال نظيفة الهندام ، وتقود مستر دافنبورت بارلو إلى الغرفة .

وبارلو رجل قصير القامة ، معتد بنفسه ، فى متوسط العمر ، شديد الصلع ، أحمر الوجه ، ذو شارب صغير مفتول بعناية ، وهندام على أحدث طراز ، فى أسلوبه زهو واحتفال شديد بالتوافه . يتقدم إلى الغرفة وكأنه يتوقع أن يرى بها أحداً . وعند ما يجد الغرفة خالية يتوقف ، وينظر إلى پيتون ولا يستطيع أن يفهم السبب فى عدم وجود أحد لاستقباله .

بارلو : [ بلهجة اندهاش ] أليست السيدة أوفاريل موجودة ؟!..

بيتون : لا يا سيدى .

بارلو : هيم.. م.. أيمكن أن تخبريها بحضورى؟

بيتون : السيدة أوفاريل ليست بالمنزل يا سيدى .

بارلو : ليست بالمنزل ؟... ولكن ...

بيتون : السيدة أوفاريل ترجوك أن تجلس وتستريح . وكلفتنى أن أناولك صحيفة المورننج پوست .

بارلو : [ متشاغلا ] لا أستطيع أن أتصور ما يدعو السيدة أوفاريل إلى الظن بأنى لم أقرأ صحيفة المورننج پوست الصباحية حتى السادسة مساء .

بيتون : [ هادئة ] وتسألك السيدة أوفاريل أترغب فى كأس من الويسكى والصودا يا سيدى؟

بارلو : ولكن متى تحضر السيدة أوفاريل ؟

بيتون : لا أعرف إطلاقاً يا سيدى .

بارلو : ولكنها أبرقت إلىّ بعد ظهر اليوم طالبة حضورى على الفور لمقابلتها .

بيتون : هذا صحيح يا سيدى. وأنا ذهبت بالبرقية إلى مكتب البريد بنفسى .

بارلو : إن خروجها فى هذه الحالة يبدو غريباً جداً . فالمسألة لها أهمية كبيرة .

بيتون : [ فى أدب ] نعم ياسيدى .

بارلو : حسناً . . . سأجلس وأنتظر ، ولكنى لا أستطيع أن أطيـــل بقائى ، فأنا سأتناول طعام العشاء عند ... لاأهمية للذلك

بيتون : حسناً ياسيدى . .

[ تخرج بيتون . ويتوجه بارلو إلى مرآة بالغرفة . ويخرج من جيبه فرشاة صغيرة يمسح بها شاربه ... تعود بيتون وهى تحمل صينية صغيرة وزجاجة خمر وعصاً « سيفوناً » وكوباً ]

بارلو : أوه ، شكراً . أقلتِ إن لديك صحيفة المورننج پوست ؟

بيتون : نعم ياسيدى . [ تناوله الصحيفة ]

بارلو : آه شكراً .

[ تخرج بيتون ثانية . ويتناول بارلو كأساً من الوسكى والصودا . ويفتح صفحة « أنباء المجتمع » . ويأخذ فى قراءتها وعلى ثغره ابتسامة رضا عن النفس ]

بارلو : [ وكأنه يخاطب نفسه ] عادت الدوقة سانت إيرث إلى ويلز أمس . ووصلت الماركيزة

ميريستون إلى المنزل رقم ٨٩ بميدان جروسفينور ، وتسافر الماركيزة سيرلو والليدى إلينوركنج إلى باريس هذا الصباح .

[ تدخل بيتون . . . وتتبعها السيدة جولايتلى . وهى متوسطة العمر ، بدينة إلى حد كبير ، دمثة الخلق ، دائبة الحركة ولكنها متلاحقة الأنفاس . ويظل الناظر إليها يحس كأنها ركضت إلى أعلا تل شديد الانحدار . وهى أخت دافينبورت بارلو ] .

بيتون : السيدة جولايتلى .

بارلو : إيزابيل ! . .

السيدة جولايتلى : أأنت هنا يا دفينبورت ؟ أين بينيلوبى ؟

بارلو : [ وكأن ذلك أغرب شىء فى العالم ] خرجت من المنزل .

السيدة جولايتلى : [ مندهشة ] خرجت ؟

[ تلتفت إلى بيتون ، وتوجه إليها نظرة متسائلة ]

بيتون : ترجو السيدة أوفاريل أن تتفضلى ياسيدتى فتجلسى وتستريحى . وقد كلفتنى أن أقدم إليك صحيفة « تشرتش تايمز »

بارلو : ولكن . . .

بيتون : [ هادئة ] وتسألك السيدة أوفاريل . أتريدين قدحاً من الشاى الثقيل ؟ . .

السيدة جولايتلى : يدهشنى أن تخرج السيدة أوفاريل ، فقد كانت تتوقع مجيئى .

پيتون : [ تعطى صحيفة السيدة جولايتلى ] نعم يا سيدتى .

السيدة جولايتلى : [ تأخذ الصحيفة ] ما هذا ؟ ..

پيتون : صحيفة « تشرتش تايمز » يا سيدتى .

السيدة جولايتلى : [ تنظر إلى بارلو نظرة تم عن الغيظ ] آه ، أشكرك ... أظننى أريد قدحاً من الشاى... أرجوك ...

پيتون : حسناً يا سيدتى .

السيدة جولايتلى : عجباً لپينيلوپى ! لماذا تصر على أن أقرأ صحيفة « تشرتش تايمز » ؟

بارلو : لقد تسلمت الساعة برقية منها .

السيدة جولايتلى : كذلك تسلمت أنا منها برقية تطلب فيها حضورى على الفور [ يلتمع فى ذهنها شعاع من نور ] لعلنا نجد تفسيراً لذلك فى صحيفة « تشرتش تايمز » .

بارلو : هراء . . . وما شأن صحيفة « تشرتش تايمز » بالأرشيدوقة أنا ستازيا ؟

السيدة جولايتلى : عم تتحدث يا عزيزى دافينپورت ؟..

[ تدخل پيتون لتعلن قدوم الأستاذ جولايتلى ، وتخرج بعد ذلك مباشرة . وجولايتلى رجل طويل نحيل ، أشيب الشعر ، نشط ، معتنى به ، أنيق منسق

المتدام ، تخاله محامياً أو طبيباً كما تخاله أستاذاً للرياضيات . ووجهه نظيف الحلاقة ] .

بيتون : الأستاذ جولايتلى .

جولايتلى : أهـــلا يا دافيثبورت [ يخاطب زوجته ] يا عزيزتى ! أنت آخر من كنت أتوقع وجوده هنا . كنت أظن أن هناك اجتماعاً لجمعية المبشرين فى « ألبرت هول »

[ تدخل بيتون وهى تحمل صينية محملة بآنية الشاى ، وكوبا من ماء الشعير ، ونسخة من صحيفة أثينايوم ] .

السيدة جولايتلى : آه ، أشكرك .

بيتون : [ لجولايتل ] تسألك السيدة أوفاريل : هل لك فى تناول كوب من ماء الشعير ؟

جولايتلى : ماء شعير ! . .

بيتون : وكلفتنى أن أقدم لك مجلة أثينايوم ، ولكنها لم تجد عدد هذا الأسبوع يا سيدى. وهذا هو عدد الأسبوع الماضى ، والسيدة أوفاريـــل ترجو أن يؤدى الغرض المطلوب .

جولايتلى : [ وعلى ثغره ابتسامة خفيفة ] إنه تلطف منك أن تجشمى نفسك هذا العناء .

بيتون : أشكرك يا سيدى . [ تخرج ]

جولايتلى : لست أدرى أى شىء فى الدنيا تريدنى پينيلوپى أن أصنع بعدد الأسبوع الماضى من مجلة أثينايوم ، وبكوب ماء من الشعير ؟

بارلو : أظنها تريد منك أن تشرب الكوب وتقرأ الصحيفة .

جولايتلى : [ لزوجته ] يا عزيزتى ، من المؤلم أن تنشئى ابنتنا الوحيدة على الاعتقاد بأن شرابى المفضل هو ماء الشعير .

بارلو : يبدو أن پينيلوپى كانت تتوقع حضورك أنت أيضاً .

جولايتلى : إنى تسلمت الساعة برقية منها .

بارلو : حقاً ؟ . . لست أدرى أى شىء فى الدنيا يدعوها إلى الإبراق لك !

السيدة جولايتلى : إن من أغرب الأمور ألا تكون پينيلوپى هنا . فهذا يشعرنى بالقلق الشديد .

جولايتلى : بصراحة أنا لم أفهم من الأمر شيئاً. ومن ثم قفزت إلى سيارة وجئت من النادى فوراً .

[ تدخل پيتون ومن ورائها بيدزوورث . وهو محام متوسط العمر دمث الخلق ] .

بيتون : مستر بيدزوورث .

جولايتلى : على اللعنة .

بارلو : يا عزيزى تشارلز ! وددت لو أنك لا تستعمل العبارات السوقية ، فقد بطل استعمالها فى طبقتنا .

بيدزوورث : [ يصايح السيدة جولايتلى ] إنى تسلمت الساعة برقية من پينيلوپى تسألنى فيها الحضور فوراً . [ يلتفت إلى بيتون ] أرجو أن تنبئى السيدة أوفاريل بقدومى .

جولايتلى : إنها غير موجودة بالمنزل .

بيتون : السيدة أوفاريل ترجوك أن تستريح يا سيدى . وإذا أردت قراءة صحيفة « لو تايمز » فلدينا نسخة منها . . . وهل ترغب فى كأس من البورت يا سيدى ؟ .

[ يدور بيدزوورث ببصره فى الحاضرين حائراً ]

جولايتلى : أطلبُ من فضلك كأساً من البورت أبادل بها كوب شراب الشعير .

بيدزوورث : [ إلى بيتون ] أشكرك .

بيتون : [ تناوله الصحيفة ] حسناً ، ياسيدى . [ تخرج ]

بيدزوورث : ماذا عساها تريد منى أن أصنع بصحيفة « لو تايمز » ؟

جولايتلى : لقد سألت نفس السؤال عندما ناولتنى بيتون عدد الأسبوع الماضى من صحيفة أثينايوم ، وأجابنى دافينهوت بفطنته التى يتميز بها : اقرأه .

بيدزوورث : أتستطيع أن تنبئنى بما تريده بينلوبى ؟ ففى برقيتها إشارة إلى أنها تريد مقابلتى بصفتى الرسمية — بصفتى محامى الأسرة لا بصفتى صديقاً قديماً .

جولايتلى : ليست لدى أية فكرة . وقد خيل إلىّ أن برقيتها غامضة كل الغموض .

السيدة جولايتلى : بودى أن تحضر . فقد بدأ القلق الشديد يساورنى .

بارلو : [ بشىء من الزهو ] أظن أنى أستطيع أن أريح نفوسكم ، فإننى فى وضع يمكننى من إيضاح الأمر كله لكم ، فالبرقية التى أرسلتها إلىّ تزيل كل لبس . . . لعلكم تعرفون أن الأرشيدوقة أناستازيا تعالج عند ديكى . ومن التوفيق أن تكون له عميلة حسنة جداً مثلها . وأنا لم

أقابلها فى حياتى وإن كنت أعرف، مصادفة، عددا من أفراد أسرتها . وهى امرأة لطيفة واسعة الثقافة . وكنت على الدوام أقول لديكى إن هذا نوع العملاء الذين يجدر به أن يعالجهم ، فإن مرضى الطبقة المتوسطة لا يفيدون الطبيب فتيلا .

جولايتلى : ياعزيزى دافينهوث ، أرجو أن تواصل حكايتك .

بارلو : حسناً ، يبدو أن الأشيدوقة أناستازيا أبدت رغبتها فى التعرف إلى پينيلوپى . وهذا من جانبها صنيع لطيف جميل للغاية ، وهو ما ينتظر صدوره منها ، وهى بالطبع تقدر كل التقدير ما أداه لها ديكى من خدمات ، فقد كان علاجه لها معجزة من المعجزات . ولعلها سمعت أن پينيلوپى ابنة أختى . وهناك قول مأثور يمكن أن تتبعوه دائماً وهو « لا شىء يخفى على الأمراء » . ومجمل القول إن الأرشيدوقة ستحضر للغداء هنا . وپينيلوپى لا تعرف شيئاً عن هذه الأمور بالطبع ، لذلك أرسلت فى طلبى وهى فى حالة انفعال

شديد . وكان هذا خير ما يمكن أن تصنعه ، فأنا أستطيع أن أدلها على كل شيء ، إذ أنني عشت طوال عمري بين هذه الطبقة . وليس في ذلك شيء يدعو إلى التفاخر الشديد — فالمسألة مصادفة في المولد ، فقد ولدت « جنتلمانا » . . . من أسرة ذات شأن ... حسناً ... هذا هو الأمر .

جولايتلي : ولكن أتقصد أن پينيلوپي ذكرت لك هذا كله في برقيتها ؟ لا بد أن ذلك كلفها مبلغاً كبيراً .

بارلو : إنها وضعته بالطبع في صيغة مختصرة ، ولكن هذا فحواه .

بيدزوورث : لست أتصور داعياً يدعوها إلى طلبي لمجرد أن إحدى أعضاء الأسرة المالكة ستحضر لتتناول الغداء معها . لقد شق علي أن أغادر مكتبي وعشرات من الناس ينتظرون مقابلتي . واضطررت أن أتسلل من الباب الخلفي لأتحاشى الالتقاء بهم .

جولايتلي : ولكن ما هو نص البرقية التي أرسلتها پينيلوپي إليك يا دالينهورت ؟

بارلو : تستطيع الاطـلاع عليها إن أردت .
[ يخرجها من جيبه ويقرأ ] « تعال فوراً .
الأرشيدوقة أناستازيا . پينيلوپي » .

جولايتلي : أتقصد أن تقول إنك نسجت كل تلك الحكاية من هذه الكلمات الثلاث ؟ ...

بارلو : پينيلوپي لم تجهل أني على قدر من الفطنة ، وهي لم تشأ أن تبعثر نقودها ، فضمنت برقيتها الألفاظ الضرورية ، وتركت لي استنتاج الباقي .

السيدة جولايتلي : ولكن برقيتي لم تشر إلى الأرشيدوقة أنا ستازيا .

بارلو : وماذا قالت پينيلوپي في برقيتها إليك ؟

السيدة جولايتلي : [ تخرج البرقية ] « تعالي حالا ! فضيحة خطيرة ! بعثة وسط إفريقيا التبشيرية . پينيلوپي » .

بارلو : ولكن هذا هراء . إنك تعلمين مبلغ غباء مكتب البريد . فلا بد أن يكونوا قد فد ارتكبوا خطأ ، إني أعلم أن لأعضاء الأسرة المالكة الپومرانية أطواراً غريبة ، ولكن هناك حدوداً لا يتخطونها ، ويستحيل علي أن أتصور أن الأرشيدوقة أنا ستازيا

تورطت فى فضيحة مع أحد مرسلى الإرسالية الدينية لوسط إفريقيا .

بيد زوورث : ولكن برقيتى لم تتضمن إلا ما يأتى : « تعال فوراً ، ستة شلنات وثمانية بنسات . پينيلوپى » .

بارلو : ستة شلنات ، وثمانية بنسات ! . لماذا ستة شلنات ، وثمانية بنسات ؟

بيد زوورث : لا أدرى . ولهذا لم أضع وقتاً فى المجىء .

جولايتلى : [ وعيناه تومض ] يخيل إلىّ أن الأرشيدوقة أناستازيا هربت مع أحد المبشرين بدلا من أن تدفع لديكى أجر علاجه المعجز ، ولذلك تريد پينيلوپى ، مستعينة بالقانون ، [ ويومئ إلى بيدزوورث ] أن تحصل على النقود .

بارلو : هراء ! ... كم أنت غير عملىّ يا تشارلز !

السيدة جولايتلى : [ لزوجها ] ولكنك تلقيت برقية أنت أيضاً يا عزيزى .

جولايتلى : « تعال حالا . كسر عشرى ٧٠٣٥ پينيلوپى »

بارلو : ما أغرب هذا ! ...

[ يفتح الباب بهدوء ، وتدلف پينيلوپى إلى الغرفة . وتنقضى هنيهة قبل أن يلحظ الآخرون

وجودها . . . وتقف ناظرة إليهم وهى تبتسم . ثم يقع نظر جولايتل عليها ، ويلتفت إليها سائر الموجودين ] .

جولايتلى : بينيلوپى .

سائر الموجودين : بينيلوپى .

بينيلوپى : [ تتقدم وتقبل السيدة جولايتل ] مساء الخير يا أمى !

بارلو : [ بلهفة ] خيرا ؟

بينيلوپى : خيرا يا أبى . [ تمد له وجهها ليقبلها ]

السيدة جولايتل : [ قلقة ] والآن يا بينيلوپى .

بينيلوپى : أوه ، مستر بيدزوورث ، إنه فضل منك أن تحضر ! [ تصافحه ] قبلنى يا خالى دافينپورت [ ترفع له وجهها فى هدوء ، فيقبلها بشىء من الغيظ ] .

بينيلوپى : أشكرك . . . أكانت كأس الويسكى والصودا التى قدمت إليك جيدة ؟ [ ثم تدور بنظرها ] والپورت ؟ . إنك لم تلمس شراب الشعير يا أبى . يا لك من كهل منكر للجميل .

السيدة جولايتل : [ مغيظة ] يا عزيزتى ! . . بربك اشرحى لنا الأمر .

بارلو : أين كنت طوال هذا الوقت ؟ .

بينيلوبى : كنت ـ كنت فى غرفة الاستشارة .
[ وتبتسم ابتسامة خبيثة ] كنت أرقبكم جميعاً
وأنتم تدخلون .

السيدة جولايتلى : [ فى شىء من الاستياء ] قالت لنا بيتون إنك
غير موجودة بالمنزل .

بارلو : أظن يا بينيلوبى أن سلوكك كان فى الحق
مشيناً .

بينيلوبى : اسمعوا . رأيت أننى إذا قابلت كلا منكم
بدوره سأضطر أن أكرر الضجة التى
سأثيرها أربع مرات بدلا من مرة واحدة .
ولو فعلت لأنهك ذلك قواى ، دون أن
يجدى كما تجدى مقابلتى لكم مجتمعين .

جولايتلى : أتنوين أن تثيرى ضجة ؟ . .

بينيلوبى : [ فى غاية الرضى ] سأثير ضجة مروّعة بعد
دقيقة .

السيدة جولايتلى : بحقك اخبرينا يا عزيزتى عما تقصدين
بهر قياتك قبل أن تزيدى كلمة .

بينيلوبى : اسمعى . كنت أريد أن تحضروا جميعكم
على الفور ، فرأيت خير وسيلة لتحقيق
ذلك أن أغريكم برغباتكم المسيطرة عليكم
فأضعها تحت أنوفكم .

السيدة جولايتلى : أفهمتَ يا تشارلز ما تقصده ؟ . .

پينيلوپى : المسألة فى غاية البساطة يا أمى العزيزة . إنك تنفقين حياتك فى محاولة هداية الوثنيين — عن بعد — ولم يغب عنى أنك ستحضرين طائرة على جناح الريح إذا ذكرت لك الإرسالية التبشيرية لوسط إفريقيا .

السيدة جولايتلى : الواقع أنى جئت راكبة الأومنيبوس . ولكن أتعنين أنه ليست هناك فضيحة متعلقة بالإرسالية التبشيرية لوسط إفريقيا ؟

پينيلوپى : [ مبتسمة ] يؤسفنى أشد الأسف أن أخيب أملك يا أمى .

جولايتلى : وماذا دعاك بحق السماء إلى كتابة « عشرى ٧٠٣٥ » فى البرقية التى أرسلتها إلىّ ؟

پينيلوپى : أوه ! إنه رقم تليفوننا . وكل مافعلته أننى كتبت كلمة « عشرى » بدلا من «چيرارد»

جولايتلى : لقد خطر لى أن الرقم مألوف لدىّ جداً .

پينيلوپى : هذه هى المسألة كما ترى

بارلو : [ يضحك ] أحسب أن الفكرة عظيمة . وقد قذفتك يا بيدزوورث بعبارة « ستة شلنات ، وثمانية بنسات » وهى موقنة بأنها ستجلب المحامى .

بينيلوبى : [ ليدزوورث ] . أنت غير غاضب علىّ . أليس كذلك ؟ [ يهز رأسه مبتسما ]

بارلو : والآن يا عزيزتى بعد أن انتهيت منهم ، خبرينى عن كل ما يتعلق بالأرشيدوقة أناستازيا .

بينيلوبى : [ بنظرة ساهمة ] الأرشيدوقة أناستازيا ؟ ولكنى ابتدعتها .

بارلو : ماذا تعنين بقولك إنك ابتدعتها ؟ أنا أعرفها جيداً ، ومعرفتى بها ترجع إلى سنوات مضت . إنى أعرف أفراد أسرتها جميعها .

بينيلوبى : [ مرتبكة بعض الشىء ، ولكنها تحاول كتمان ضحكها ] المسألة أننى — أننى أردت حضورك أنت أيضاً ، و . . .

بارلو : أنا لا أفهم ما تعنينه إطلاقاً يا بينيلوبى ! .. تذكرين لى واحدة من أقرب صديقاتى ، ثم تقولين لى إنك ابتدعتها .

بينيلوبى : أنا آسفة أشد الأسف ... وفى الحق أنى لم أعلم بوجود مثل هذه السيدة . وقد ظننتنى ابتدعتها من فكرى . . . [ وبضحكة مكتومة ] أظن أنها كانت فكرة

بارعة أن أقع على شخص تعرفه مثل هذه المعرفة الوثيقة .

بارلو : لست أدرى لماذا تظنين أن مجرد ذكر اسم الأرشيدوقة يحملنى على الحضور .

پينيلوپى : حسناً . المسألة أنى أعلم عنك الولع بحضور الحفلات ، ومعرفتك العدد الكثير من الناس . ولذلك تيقنت أنه إذا تصادف وكانت هنـــاك سيدة باسم الأرشيدوقة أنا ستازيا ، فأنت لا بد تعرفها [ ثم بإشارة من يدها ] والآن هذه هى المسألة كما ترى .

[ بارلو يتفقد غيظاً ، ولكنه لا يجيب ]

السيدة جولايتلى : والآن يا پينيلوپى عليك أن تخبرينا عن حقيقة ماتريدين .

پينيلوپى : [ بلهجة من يقرر الواقع ] أريد الطلاق من ديكى .

السيدة جولايتلى : ماذا !..

جولايتلى : يا بنيتى العزيزة .

بارلو : يا لطيف !

[ يقولون هذه العبارات الثلاث فى وقت واحد ]

پينيلوپى : [ بحسرة ] كنت أريد أن أحدث ضجـــة كبرى ، ولكنكم حملتمونى على التعجل بإفشاء سرى كله فى أربع كلمات .

السيدة جولايتلى : ولكنى لاأفهم .

بينيلوبي : سأكرر القول ... أأكرره ؟.. أريد الطلاق من ديكي .

بيد زوورث : أنت لا تعنين ذلك حقا ، أليس كذلك ؟

بينيلوبي : [ حانقة ] بل أعنيه بالطبع . إني لن أكلم ديكي طوال عمري.. أقصد أنني سأتشاجر معه شجاراً عنيفاً أولا . إني مصممة كل التصميم على الشجار.. مع شخص ما .

جولايتلي : وأين ديكي الآن ؟ ...

بينيلوبي : في طريقه إلى المنزل وبجعبته نفس الحجة [ يتهدج صوتها فجأة ] آه لو تعلمون كم أنا شقية ! . .

السيدة جولايتلي : يا عزيزتي ، هل الأمر خطير حقاً ؟

بينيلوبي : [ في تنوط ] ماذا أستطيع أن أفعل لأفهمكم الأمر ؟

جولايتلي : خير ماتفعلين أن تبدئي من البداية ، وتخبرينا عما وقع كله بترتيب وترابط .

بارلو : [ مزهواً بنفسه ] ياعزيزي تشارلز ، هذه المسألة ليست من نوع المسائل التي يكون لرأيك فيها أدنى فائدة . فأنت عالم في الرياضيات ، ولا ينتظر من مثلك الإلمام بشيء من الأمور العملية .

جولايتلى : [ بسخرية خفيفة ] أعتذر بشدة .

السيدة جولايتلى : [ متجهة إلى پينيلوپى تسألها أن تفصح ] تكلمى يا حبيبتى !

پينيلوپى : حسناً . أنا أولاً هائمة بحب ديكى ، فإنى لم أحب غيره فيما مضى ، ولن أحب غيره فى المستقبل .

بيدزوورث : هذا اعتراف مرض جداً بعد زواج دام أربع سنوات .

پينيلوپى : خمس سنوات وثلاثة أشهر ويومين . ولم يمر يوم من هذه المدة دون أن يزداد حبى لديكى .

بيدزوورث : لم أر زوجين يخلص كل منهما للآخر أكثر من هذا الإخلاص .

پينيلوپى : نحن لم نتشاحن قط . بل ولم يغضب أحدنا على الآخر فى يوم من الأيام . كانت حياتنا الزوجية شهر عسل لا ينقضى .

السيدة جولايتلى : وماذا بعد ؟

پينيلوپى : ولكنى اكتشفت أنه كان يكذب علىّ خلال الشهر الأخير . كان لا يعود كل ليلة إلا فى ساعة متأخرة جداً . فإذا سألته أين كان ، أجابنى بأنه اضطر إلى عيادة

مريض ألح عليه الداء – وأنها حالة هامة جدا – وأن ذلك أقلقه إلى حد أنه اضطر إلى الذهاب لناديه ولعب دوراً من « البريدج » ليستعيد هدوء أعصابه . . . وليست حالة المريض الهامة ، ودور « البريدج » إلا « أدا فيرجسون »

بارلو : [ مزمواً ] ولكن ، من هى أدا فيرجسون ؟ أنا لم أسمع عنها قط .

پينيلوپى : أدا فيرجسون من أقرب صديقاتى إلىّ . وأنا أمقتها . . . كنت أعرف دائماً أنها قطة . وقد اعتاد ديكى خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة أن يقضى معها بعد ظهر كل يوم من الساعة الرابعة إلى السابعة .

جولايتلى : [ يرفع حاجبيه ] ولكن ، أمن عادتك دائماً أن تسألى زوجك عند ما يعود إلى الدار أين كان ؟

پينيلوپى : [ نافدة الصبر ] يا أبى العزيز ، ما العلاقة بين سؤالك وما نحن فيه ؟ إننا نقر جميعا بأنك إنسان لطيف ، وأنك أعظم أفذاذ العالم فى الرياضيات ؛ ولكنك لا تعلم عن الحياة شيئاً .

جولايتلى : أعتذر مرة أخرى .

السيدة جولايتلى : أعطيه ورقة وقلماً يا پينيلوپى ليلهى نفسه ببعض المسائل الحسابية بينما نناقش نحن المسألة.

پينيلوپى : [تدفع إلى أبيها أدوات كتابية] ها هى ذى يا أبى .

بيدزوورث : ولكن كيف وقفت على هذا الأمر ؟

پينيلوپى : [متضجرة] أية أهمية لكيفية وقوفى عليه . إن كل البراهين متوفرة لدى .

السيدة جولايتلى : حسبى أن أسمع أقلها ، فإنك تستطيعين أن تصرعينى بريشة .

جولايتلى : [مبتسما] ياعزيزتى !

بارلو : إن الأمر لا يدهشنى بحال .

پينيلوپى : يا خالى دافينپورث !

بارلو : لقد توقعت ذلك دائماً . فأنت تذكرين يا إيزابيل أنى عارضت فى ذلك الزواج منذ البداية . وقد قلت إنه من الخير للمرأة ألا تتزوج بطبيب ، فالواحد منا يقابل الأطباء أحياناً فى المجتمع بعد ما تصقلهم الأيام قليلا ، أو ربما بعد فوزهم بالألقاب والرتب العالية ، ولكننا لا نقابل زوجاتهم أبداً . ونحن نفترض أنهم

يتزوجون ، ولكنهم لا يتزوجون بأحد ممن نعرفهم . وقد أكون رجعياً ، ولكنى متمسك برأيى ، وهو أنه ليس أمام « الجنتلمان » إلاّ مهنة من مهن ثلاث — القضاء ، والجيش ، والكنيسة .

بينيلوپى : يا خالى العزيز دافينپورت ! إنك تقول هراء .

بارلو : [ مستاء ] لقد سألتنى الرأى وأنا لم أضنّ عليك به . ويؤسفنى أن تجدى قولى هراء.

بيدزوورث ; وماذا تقترحين عمله الآن ؟

بينيلوپى : [ بتصميم أكيد ] لن أعيش وديكى تحت سقف واحد أبداً . وسأغادر هذا المنزل إلى غير رجعة على أثر مقابلته .

بيدزوورث : أفى نيتك أن تبادليه بضع كلمات ؟

بينيلوپى : بل كلمات كثيرة ... سـأقول له إنى أزدريه ... وأمقته ... وسألقى بخاتم الزواج فى وجهه ، ثم أخرج شامخة الرأس من الغرفة .

بيدزوورث : هل استقر رأيك فعلا على ألاتغفرى له؟

بينيلوپى : ما كان يحملنى شىء فى العالم على مخاطبته

ثانية لولا رغبتى فى مصـــارحته برأيى الصحيح فيه .

بارلو : ثم إن لك أسرة يجب أن تفكرى فيها .. لا بد من أن تهجريه بالطبع ... إن رأيى كما تعلمين هو أن المرء لاينعم بالأمان مع أناس لا محتـــد لهم . وإنى أنظر إلى كل ما حدث على أنه نعمة خفيت على نقمة .

بيدزوورث : أترغبين فى رفع دعوى انفصال قانونى ؟

پينيلوپى : يا عزيزى السيـــد بيدزوورث ، عم تتحدث ؟ ... إنى سأطلقه . سأفضحه فضيحة مشينة .

بيدزوورث : حسناً . سنستطيع عند الحاجة أن ندبر ذلك بمعونة الصحافة .. هل قسا عليك فى يوم من الأيام ؟

پينيلوپى : لا بحق السموات ! وهذا هو ما يؤجج غضبى . ولقد كان خلال الشهر الماضى أظرف وألطف مما كان عليه فى أى وقت مضى . أوه ، بودى لو أستطيع أن أفعل بأدا فيرجسون شيئاً يضايقها حقا .... شيئاً يكويها كيًّا .

السيدة جولايتلى : لقد صدمت ... صدمت صراحة . فما

كان يخطر ببالى قط أن يكون ديكى شريراً إلى هذا الحد .

بارلو : إن حياة الأسرة فى إنجلترا سائرة فى طريق البوار . هذه هى الحقيقة باختصار

[ تلمح پينيلوپى فجأة ما كان جولايتلى منهمكا فى كتابته ، فتلقى على الورقة نظرة مرتاعة ، ثم تدور بنظرها ] .

پينيلوپى : أمى ؛ لقد حدث أمر مرعب .. لقد جن أبى فجأة !

السيدة جولايتلى : ماذا تقولين يا عزيزتى ؟!

پينيلوپى : طفق يجمع « واحداً » و « واحداً » مرات ومرات فى الورقة كلها ، وجعل ناتج جمع الرقمين فى كل مرة « ثلاثة » .

السيدة جولايتلى : تشارلز !

[ پينيلوپى تناول بارلو الورقة ]

پينيلوپى : انظر .

بارلو : ١ + ١ = ٣ . . . . . ١ + ١ = ٣

[ ثم يناول الورقة بدوره إلى بيدزوورث ]

بيدزوورث : ١ + ١ = ٣ . . . . . ١ + ١ = ٣

بارلو : كنت على يقين من أن ذلك سيحدث . وقد توقعته منذ سنوات .

السيدة جولايتلى : اضبط أعصابك يا تشارلز !

بينيلوبى : أبى ! أتعتقد حقاً أن ١ + ١ = ٣ ؟

جولايتلى : بالعكس فأنا مقتنع بأن ١ + ١ = ٢

بينيلوبى : أى شئ فى الدنيا حملك إذن على جعل جمعهما ثلاثة ؟

جولايتلى : أتعرفين لماذا تشترين صابون پيرز ؟

بينيلوبى : أظنك قد أنهكت نفسك فى العمل الشاق يا أبى العزيز . لماذا لا تذهب وترقد نصف ساعة ؟ وعندما يحضر ديكى يعطيك دواء مقوياً .

جولايتلى : أنت تشترين صابون پيرز لأنك قرأت على الملصقات خمسين ألف مرة إنه لايبارى فى تحسين البشرة .

بينيلوبى : هذا ليس مضحكاً يا أبى ولكنه سخيف .

جولايتلى : ما عليك إلا أن تكررى أى شئ بمقدار كاف حتى يؤمن به العالم جميعه ، وإذا آمن به العالم يصعب جدا الحكم بصدقه أو كذبه .

بينيلوبى : وما علاقة هذا بحاصل جمع واحد وواحد ؟

جولايتلى : ظننت أنى إذا كتبت أن ١ + ١ = ٣ وكررت ذلك بما فيه الكفاية ، قد ينتهى

ذلك إلى اقتناعى بصدقه .

بينيلوبى : ولكنك إذا كررت كتابة هذه العمليـة مليون مرة لن تقترب بها إلى الصدق قيد أنملة

جولايتلى : هذه هى النتيجة التى أرانى مع الأسف مضطراً إلى التسليم بها

بينيلوبى : وبعد ؟

جولايتلى : ليست الحياة بأسرها إلا مسألة جمع واحد وواحد ، ثم استخلاص الجواب الصحيح .

بارلو : يا عزيزى تشارلز . لا داعى لبقائى إذا كنت ستناقش مسألة الحياة ، ظللت عشرين عاماً أقول لك إنك عالم وزاهد اعتزل الدنيا . أما أنا فقـد عشت فى معتركها ، وأنا رجل عملى — وإذا شاءت بينيلوبى أن تستشيرنى ، فأنا رهن إشارتها ، وإلا . . .

بينيلوبى : لا تتكلم يا خالى دافينپورت .

بارلو : أحقاً يا بينيلوبى ؟

جولايتلى : لاحظت عليك خلال السنوات الخمس الأخيرة أنك تجمعين واحداً وواحداً وتجعلين حاصل جمعهما زهاء تسع وسبعين .

السيدة جولايتلى : لست أدرى عمّ تتحدث يا تشارلز . . .
إن سلوك ديكى مشين ، وليس له عذر
فيما فعـــل . والمسألة ليست إلا مسألة
الأخلاق العامة .

جولايتلى : يا عزيزتى ! أنا لا أعترض على تحدثك
حديث الأخلاق العامة بشرط أن تدعينى
أتحدث حديث الإدراك العام .

السيدة جولايتلى : يا عزيزى تشارلز ! كلاهما واحد .

پينيلوپى : إذا ظننت أنك ستحملنى على العفو عن
ذنب ديكى لمجرد قولك لى إنك كنت
أيضاً آثماً أيام صباك ، فإنى أجيبك
على الفور بأن هذا اعتذار فاشل .

السيدة جولايتلى : [ثائرة] عم تتحدثين يا عزيزتى ؟

پينيلوپى : حسناً . لقدلاحظت أن المرأة إذا اكتشفت
خيانة زوجها لهـــا ، حاول أقرباؤها
الذكور دائماً أن يواسوها بقولهم إنهم
هم أيضاً عاملوا زوجاتهم معاملة مشينة .

جولايتلى : يا عزيزتى ، أنا لم أكن أنوى الاعتراف
بشىء من هذا القبيل ... أنا لاأعترف
أبدا ...

پينيلوپى : بالطبـــع ، ولو أن الأمر قد اختلف ،

وكانت أمى هى التى جمحت قليلا ..

السيدة جولايتلى : عزيزتى ! أترينى أستطيع القيـــام بحركة بهلوانية من هذا النوع ؟

پينيلوپى : أكمل كلامك يا أبى

جولايتلى : أعتقد أنك عاملت ديكى معاملة مخزية .

پينيلوپى : [فى دهشة] أنا ؟

جولايتلى : لو أن أمك سلكت معى مسلكك مع ديكى لأدمنت الشراب لا محالة .

پينيلوپى : ولكنى كنت معه ملا كا مبرأ من كل عيب ... لم أقبل إلا أن أعبد الأرض التى يمشى عليها ، لقد أحببته حبا لم ينعم بمثله رجل من قبل .

جولايتلى : ما من رجل يحتمل ذلك .

پينيلوپى : ماذا تقصد يا أبى ؟ ..

جولايتلى : يا عزيزتى : إنك أحببته صباحاً وظهراً ومساء ... أحببته متحدثاً ، وأحببته صامتاً ... أحببته إذ يمشى ، وأحببته إذ يأكل ، وأحببته إذ يغط فى نومه . لقد استحال عليه أن يهرب من حبك .

پينيلوپى : ولكن لم يكن لى يد فى هذا .

جولايتلى : لم يكن بك حاجة إلى إظهاره .

بينيلوبي ، أتعنى أن هذا يبرر عبثه مع أدا فيرجسون؟

جولايتلى : بل يتيح له العذر .

بينيلوبي : لا بد أن يكون الرجال وحوشاً إذن !

جولايتلى : كلا ، فهم أناسيّ ، وإن كان ذلك يبدو لك غريباً . إنك كنت مغرمة بالفراولة المثلجة فى طفولتك .

بينيلوبي : ولا زلت مغرمة بها إلى الآن .

جولايتلى : أتودين أن تتناوليها فى كل يوم طعاماً للإفطار والغداء والعشاء خلال شهر بأكمله ؟

بينيلوبي : يا للسماء ! إن الفكرة تخيفنى .

جولايتلى : عاش ديكى المسكين على الفراولة المثلجة خمس سنوات . وكان هذا قوام حياته الوحيد .

بينيلوبي : [ مذعورة ] أوه !

جولايتلى : أنت لم تدعيه يغادر المنزل دون أن تدخلى الردهة لتضعى قبعته على رأسه ، وتحييه بقبلة توديع . وهو لا يعود إلى المنزل دون أن تنزلى إليه راكضة ، وتساعديه على خلع معطفه وتحييه بقبلة ترحيب . وقد رأيتك تجلسين فوق مسند كرسيه ، وتطوقين عنقه

وهو جالس فى الصباح بعد تناول إفطاره ليقرأ صحيفته ويدخن غليونه .

بارلو : [ مستنكراً ] پينيلوپى !

پينيلوپى : أتظن أن ذلك كان فظيعاً جداً ؟

بارلو : يا بنيتى العزيزة !

پينيلوپى : [ إلى بيدزوورث ] ألم تجلس السيدة بيدزوورث قط على مسند مقعدك وأنت تدخن غليونك ؟

بيدزوورث : لا بد أن أعترف بأنى مدين لزوجتى بالشكر ؛ لأنها كانت تنفق هذا الوقت فى العناية بشئونها المنزلية .

پينيلوپى : يا لكم من قوم مزعجين . طلبت إليكم الحضور لتشاركونى فى شعورى ، فإذا أنتم تقسون علىّ قسوة وحشية .

بارلو : لكل شئ حدود يا عزيزتى پينيلوپى .

پينيلوپى : على أى حال لا يهمنى . وسأطلقه .

جولايتلى : لنحسب حسبة بسيطة أخرى . . . هل تسمحين ؟ فلعل جمع واحد وواحد ينتج اثنين هذه المرة .

پينيلوپى : لست أرانى مغتبطة بكونى ابنة عالم فى الرياضيات .

جولايتلى : ألا ترين أنه من الأفضل اكتساب حب زوجك من جديد بدل الطلاق منه ؟

پينيلوپى : أنا لا أرغب فى حبه .

جولايتلى : [ مبتسما ] أواثقة أنت من أنك ترفضين حبه فيما إذا استطعت أن تحصلى عليه ؟

[ تنظر پينيلوپى إلى أبيها لحظة ثم تتوجه إليه مسرعة ]

پينيلوپى : [ وفى صوتها دموع ] أبى ، أتظننى أستطيع يوماً أن أستعيد حبه ؟ أنت تقول إنى فقدت حبه بخطئى . أوه ، لست أدرى ماذا أصنع بدونه ! لقد أصبحت تعيسة جداً مذ علمت بالأمر . ولكم بذلت من جهد لأهون منه ، ولكن ليتك تعلم ما أشعر به فى سويداء قلبى ... أوه ، لم لم يكتم هؤلاء المتوحشون الأمر عنى ؟

بارلو : يا عزيزتى پينيلوپى . كنت أتوقع أن أجدك أكثر كبرياء . إنه رجل لا أصل له . وقد ظننت أنك نعمت بالخلاص منه .

پينيلوپى : يا خالى دافينپورت ، إذا مسسته بكلمة سأصاب فوراً بنوبة هستيرية .

بارلو : لست أدرى أى نصيحة تنتظرين من أبيك

جولايتلى : ( مبتسما ) . من فم الأطفال والرضّع

يا دافينهورت(*)؛

بارلو : لم يخطر ببالى أن أحداً يستطيع نعتك بالطفل أو الرضيع . . . ولكنى لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك على أية حال ؛

پينيلوپى : أوه ، لا تخرج الآن يا خالى دافينهورت.

بارلو : يبدو أن نصيحتى غير مرغوب فيها . ثم إنى وعدت الليدى هولينجتون العزيزة أن أزورها قبل العشاء .

پينيلوپى : برّبك اعتذر تليفونياً عن الذهاب إليها . وستجد التليفون فى غرفة الجلوس .

بارلو : [ يهز كتفيه ] إنى شديد التساهل . والناس لا يقدرونى حق قدرى . [ يخرج ]

پينيلوپى : أبى ! قل إنك ستعيد إلىّ ديكى . إنى أريده . إنى أريده .

جولايتلى : الأمر فى منتهى البساطة ياعزيزتى . وكل ما فيه أنه يحتاج إلى قدر كبير من اللباقة وقدر كبير من الشجاعة ، وقدر كبير من ضبط النفس .

پينيلوپى : [ ساخرة ] ألا يحتاج إلى شىء آخر أيضاً ؟

---

(*) إشارة إلى قول المسيح « من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً » ( انجيل متى ٢١ : ١٦ ) .

جولايتلى : يحتاج إلى الكثير . يجب ألا يفلت زمامك من يدك ، ويجب أن تراقبى لسانك وعينيك وابتساماتك — وطبعك .

پينيلوپى : أظنك قلت لى إن الأمر فى منتهى البساطة.

جولايتلى : هل أدا فيرجسون جميلة ؟

پينيلوپى : لا . فهى بشعة جدا .

جولايتلى : أهى كذلك ؟ هذا يجعل الأمر أشد خطورة .

پينيلوپى : لماذا ؟

جولايتلى : إذا وقع الرجل فى حب امرأة جميلة زهدها . أما إذا وقع فى حب امرأة قبيحة فإن حبه لها سيبقى ما بقى هو حيا .

پينيلوپى : لقد أزحت عبئاً عن صدرى . فأدا فيرجسون جذابة جدا .

جولايتلى : ستتمكنين إذن من استعادته .

پينيلوپى : خبرنى بالضبط عما يجب اتّباعه ، وسأتبعه .

جولايتلى : أعيديه إلى رشده .

پينيلوپى : أهذا كل ما فى الأمر ؟

جولايتلى : هذا يعنى الشىء الكثير . لا تتشاجرى معه عند عودته ، ولكن كونى ظريفة

معه . ولا تسأليه هذه المرة أين كان ولو لمرة . وإذا خرج لا تسأليه إلى أين ، ولا فى أية ساعة سيعود . ولا تجعليه يعلم أنه يخامرك أقل شك فى أن شيئاً ما قد حدث . بل على العكس انتهزى كل فرصة لتدفعيه إلى الاجتماع بأدا فيرجسون .

السيدة جولايتلى : تشارلز ! .. أنت تطلب إلى پينيلوپى أن تتستر على الفساد .

جولايتلى : إذا أزيلت كل عقبة من طريق ديكى وجد أن نصف لذة هذا الغرام الذى يخفيه قد ضاعت . وعندذاك تكونين كسبت نصف المعركة . وعليك أن تتركى الباقى للزمن ولأدا فيرجسون . . . دعى أدا فيرجسون تجلس على مسند مقعده حينما يريد قراءة صحيفته . ودعيه يعلل تحركاته كلها لأدا فيرجسون . إن المرأة فى ظروف كهذه تستبد بها الشكوك دائماً ، ولهذا فهى ترهق الرجل دائماً . فإذا انقطع الحديث برهة ستسأله أدا فيرجسون أتحبنى اليوم مثلما كنت تحبنى دائماً ؟ وهذا القول

ليس إلا الحبل الذى يلتف حول عنق الحب ليخنقه وإذا أراد ديكى أن ينصرف ستتوسل إليه أدا فيرجسون أن يبقى خمس دقائق أخرى . وهـــذه الدقائق الخمس التى يمكثها الرجل رغم أنفه هى المسمار الذى يدق فى نعش الحب ... وفى كل مرة يهم ديكى بالانصراف ستقول له أدا فيرجسون : متى ستعود ؟ وهذا السؤال هو التراب الذى يهال على قبر الحب .

[ وفى أثناء ذلك كله تشخص پينيلوپى إلى جولايتلى مذهولة ]

پينيلوپى : أين تعلمت هذا كله يا أبى ؟

جولايتلى : [ يهز كتفيه هزة استنكار ] المسألة ليست إلا جمع واحد وواحد يا عزيزتى .

پينيلوپى : لم أكن أعلم أن الرياضة طريقة إلى هذا الحد . . وفاجرة إلى هذا الحد !

جولايتلى : وما رأيك فيما قلت ؟

پينيلوپى : ولكن حتى إذا أقلع ديكى عن حب أدا فيرجسون فليس هناك ما يدعو إلى وقوعه فى حبى من جديد .

جولايتلى : يجب أن تحمليه على ذلك .

پينيلوپى : وددت لو أعلم كيف .

جولايتلى : الأمر لا يتطلب إلاّ بعض المزيد من اللباقة ، وبعض المزيد من الشجاعة ، وبعض المزيد من ضبط النفس .

پينيلوپى : ولكنى إذا اكتسبت هذه الوفرة من الفضائل أصبحت هولة لا امرأة . وكيف يهوانى فى هذه الحالة ؟

بيدزوورث : [ من جانب النافذة ] هنـــاك سيارة تقف بالباب .

پينيلوپى : أنصتوا . . . إنى أسمع صوت مفتاح يدور . لا بد أنه ديكى .

بيدزوورث : ماذا تنوين أن تصنعى ؟

پينيلوپى : [متردده] ما رأيك يا أمى ؟

السيدة جولايتلى : يا عزيزتى . إنى أعارض فكرة أبيك بشـــدة ، ولا أتصور كيف خطرت له ببال . ولكن لا يسعنى إلا القول بأن فيها شيئاً من سلامة الإدراك .

پينيلوپى : [ مستقرة على رأى ] سأحاول ... تذكروا أن أحداً منكم لا يعرف شيئاً عما حدث... وأنت ستظاهرينى يا أمى ، أليس كذلك ؟

السيدة جولايتلى : إنك لن تطلبى منى أن أدلى بسلسلة من الأكاذيب يا عزيزتى ؟

پينيلوپى : الأكاذيب البيض فقط يا أمى . وإذا لم يكن بد من كذبة كبرى فسأقولها أنا نفسى .

بيدزوورث : ولكن ، ماذا سيكون موقف بارلو ؟

جولايتلى : إنه رجل خبير بالحياة ! .. وسيدس أنفه فى الأمر دون مراء .

پينيلوپى : أنا كفيلة به .

[يدخل بارلو]

پينيلوپى : آه .

بارلو : لم أستطع الاتصال بها . لست أدرى ماذا جرى لعاملات التليفون هؤلاء . .. يا لهن من فاجرات !

پينيلوپى : يا عمى دافينهورت ، وجدت أنى أخطأت فى حق ديكى تماماً . فهو غير ملوم فى شىء

بارلو : يا إلهى الرحيم ! .. وأدا فيرجسون ؟

پينيلوپى : لا أشك فى أنها ليست أسوأ من أى امرأة غيرها .

بارلو : هذه مفاجأة . ولكن بربك كيف وصلت إلى هذه النتيجة ؟

بينيلوپى : بجمع واحد وواحد ...

بارلو : يا للعجب ! لا بد أن أقول إن اضطرارى إلى الإخلال بموعد هام لغير سبب أمر يغيظنى . كنت أظن ...

بينيلوپى : [ تقاطعه ] يا خالى دالينپورت ، إنه لما يسوء حقا أن اضطر إلى التخلى عن الضجة التى نويت القيام بها . أما إذا كنت تنوى أنت القيام بها ، فهذا فوق ما أحتمل .

بيدزوورث : ما دمت لا أستطيع أن أقدم معونة جديدة فمن الخير أن أعود إلى أحضان أسرتى .

بينيلوپى : بالطبع أنا أعد زيارتك هذه زيارة مهنية

بيدزوورث : أوه ، هراء !

بينيلوپى : لم يخطر لى ببال أن أقبل خدماتك دون مقابل . أرجوك أن تذكر المبلغ الذى أنا مدينة لك به

بيدزوورث : الحق أنى لا أدرى ماذا أقول .

بينيلوپى : ديكى يتقاضى جنيها وشلنا عن كل زيارة لمريض .

بيدزوورث : ولكنك لم تذكرى فى برقيتك إلا ستة شلنات وثمانية بنسات .

بينيلوپى : حسناً . أنا مدينة لك بهذا المبلغ . وهذا

فى الحق يجعلنى أشعر بأننى أكثر راحة .

بيدزوورث : إنك لن تسلمينى المبلغ الآن نقداً ؟

پينيلوپى : لم يخطر لى أن أدفعه لك . ولكن يطيب لى أن أتصور أنى مدينة لك به ، وفى هذه الحالة لن أشعر بأنى مطوقة بأى جميل .

بيدزوورث : إذا كان الأمر كذلك فأنا أذعن للأمر . إلى اللقاء .

پينيلوپى : إلى اللقاء .

بارلو : إلى اللقاء يا بيدزوورث . لا بد أن تأتى إلى النادى يوماً لتتناول الغداء معى .

بيدزوورث : يسرنى ذلك . إلى اللقاء [ يخرج ]

بارلو : رجل ظريف جداً ... «جنتلمان» بحق ... فما من أحد يتصور أنه محام .. سأدعوه لتناول الغداء مع واحد أو اثنين ممن لا يبالون الفوارق الطبقية .

پينيلوپى : ها هوذا ديكى . أتسمعونه يصفر ؟ يبدو جليا أنه فى غاية الانشراح .

[ يدخل ديكى . وهو رجل عليه سيماء أصحاب المهن الحرة ، حسن المظهر ، أنيق الملبس ، فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، شديد المرح ، فكه الطبع إلى حد بعيد . ونادراً ما يخرجه شىء عن بشاشته . وفى أسلوبه ظرف يفسر شغف پينيلوپ به ]

ديكى : هالو ، لم أفهم ماذا جرى لك ياپين ؟

پينيلوپى : لماذا ؟

ديكى : كنت تنزلين عادة لاستقبالى عند حضورى

[ تصدر حركة خفيفة من پينيلوپى ، وتدارى ابتسامة ] .

پينيلوپى : أمى التقية موجودة .

ديكى : [ جذلا ] ليس هذا سببا يدعوك إلى إهمال زوج مخلص [ يصافح السيدة جولايثل ] كيف حال أمك التقية ؟ ... هالوياخالى دافينپورث ، ما ثمن الدوقات فى السوق اليوم ؟

بارلو : أستميحك عذراً ، لست أدرى ماذا تقصد .

ديكى : [ يدور بالحفله فى القناني والأكواب المبعثرة فى الحجرة ] قولوا الحق ، ألم تكونوا تنعشون أنفسكم ؟من كان يشرب البورت ؟

پينيلوپى : لا أحد . إنها كأس فارغة .

ديكى : هكذا تتصرف الأقدار معى . فهى تضع المغريات متعمدة فى طريقى . الخمر ليست إلا سمًّا لى ، فداء المفاصل وراثى فى أسرتى كما تعلمون ، وقد عاش أجدادى مائة عام

على نبـات السورنجان : وإنى لأشعر بوخز أليم فى أصابع قدمى لمجرد رؤية زجاجة من البورت . وبرغم ذلك أتناوله .

[ يملأ لنفسه كأساً ويرشفها فى لذة كبيرة ]

بارلو : من الخطأ الجسيم طبعاً أن تخال داء المفاصل دليلا على شرف المحتد ، فإن بواب نادىّ من شهداء هذا الداء .

ديكى : قد يكون ابناً غير شرعىّ لأحـد الأشراف . عليك أن تسأله عما إذا كانت كتفه اليسرى مدموغة بشارة الشليك ... ماذا بك يا پين ؟

پينيلوپى : [ متعجبة ] بى أنا ؟

ديكى : خيل إلىّ أنك مبتئسة قليلا .

پينيلوپى : لماذا ؟

ديكى : لست أدرى . فأنت لا تبدين على حالتك الطبيعية تماما . أليس كذلك ؟ فأنت لم تسأليني عما كنت أفعله اليوم . والقاعدة أنك تهتمين بتحركاتى كل الاهتمام .

پينيلوپى : [ وهى ترمق أباها بنظرة ] ظننتك ستخبرنى بهذه التحركات لو شئت .

ديكى : أظن أن هذا كثير ، فأنا أكِدّ كالعبيد خارج الدار لأوفر لك سيارة ، وملابس وأشياء أنيقة ، بينما لاتهتمين أنت أقل اهتمام بما أفعل .

پينيلوپى : [ مبتسمة ] حسنا . ماذا كنت تصنع بعد ظهر اليوم ؟

ديكى : [ يتنفس الصعداء ] أوه ، كان يومى يوما عصيباً . وأنا مشغول هذه الأيام بحالة هامة جدا تستغرق منى وقتاً طويلا ، وهى تقلقنى بعض القلق بالطبع ، ولكنى إخال مثل هذه الأمور تعرض لنا فى عملنا اليومى . على أى حال أنقذت هناك مايقرب من ساعة .

پينيلوپى : ساعة ؟

ديكى : نعم . كنا نتشاور فى مرضها كما تعلمين .

پينيلوپى : ولكنكم كنتم تتشاورون فى مرضها أمس .

ديكى : أمس ؟ .. نعم ، إنها عجوز تغالى فى الاهتمام بنفسها ، وتطلب الاستشارات دائماً .

پينيلوپى : هذا مبهج ، أليس كذلك ؟

ديكى : أنا لاأظنه كذلك . إذ يبدو أنها لاتثق بى حقا .

پينيلوپي : ولكنك تستطيع أن تطلب ضعف الأجر. أليس كذلك ؟

ديكي : نعم ، بالطبع . إن للمسألة هذه الميزة .

پينيلوپي : كنت أتوق منـــذ مدة طويلة إلى شراء كاب من الإرمين ، وسأشتريه الآن .

ديكي : [ يظهر عليه الابتئاس ] أوه ، ولكني لم أتقاض أجرى بعد .

پينيلوپي : سيسرّ البائع أن ينتظر . وهي صفقة رابحة .

ديكي : [ لتغيير الحديث ] حسناً . ولقد شعرت بعد الاستشارة بأنني مرهق إلى حد اضطرني أن أقصد النادي لألعب دوراً من البريدج.

جولايتل : على فكرة ، ما اسم مريضتك ؟

ديكي : اسم مريضتي ؟

پينيلوپي : أوه ، نعم . فقد كنت أقول لأبي إنك تعالج مريضة جديدة تكسب من علاجها كنزاً من المال ، ولم أستطع تذكر اسمها .

ديكي : [ مرتبكا ] أوه — إ . . . . ، السيدة ماك...

پينيلوپي : السيدة ماك ماذا ؟

ديكي : السيدة ما كفقط .

بارلو : السيدة ما كفقط ؟ ماذا تعني ؟ أنا لم أسمع قط عن أسرة باسم ما كفقط .

ديكي : لا ، بالطبع . فاسمها ليس ماكفقط .

بارلو : ولكنك قلت ماكفقط فى وضوح .

ديكى : يا عزيزتى پين ، أذكرت أنا شيئاً عن ماكفقط ؟

پينيلوپى : حسناً ، ما اسمها إذن ؟

ديكى : لى عشر دقائق أقول لك إن اسمها السيدة ماك .

بارلو : ولماذا لم تقل هذا بربك فوراً ؟

جولايتلى : وكيف عثرت على هذه العميلة السخية ؟

ديكى : أوه . كان ذلك توفيقاً كبيراً . . . وقد حدثتهـا عنى صديقتك الصغيرة تلك يا پين ... ما اسمها ؟

جولايتلى : يبدو أن ذاكرتك قاصرة عن حفظ الأسماء كل القصور يا ديكى . وعليك أن تعقد منديلك لتتذكر .

ديكى : هى صديقة پين . [ يتظاهر بأنه يحاول التذكر ويتذكر ] زوجها فى البحرية ، ومقره فى مالطة . أليس هو كذلك ؟

پينيلوپى : أدا فيرجسون .

ديكى : هى بعينها ، بالطبع . السيدة فيرجسون .

بارلو : أظنها من أسرة فيرجسون أوف كينجارث .

ديكى : ليس لى أى علم بذلك . إنما خيل إلىّ أنها امرأة لطيفة ضئيلة الجسم . ولكن لا بد أن أصارحكم بأنها لم تثر اهتمامى كثيراً .

[ تدخل بينون لتعلن قدوم السيدة فيرجسون . وهى امرأة جميلة متألقة فى نحو الثلاثين من سنها ]

بينون : السيدة فيرجسون .

[ يمثل ديكى ذعراً . تخرج بينون . وتمر لحظة قصيرة يسود فيها الارتباك . ولكن سرعان ما تمالك بينيلوبى نفسها ، وتتجه إلى الزائرة مظهرة شدة الترحيب ]

بينيلوبى : كيف حالك ؟

السيدة فيرجسون : أهو وقت غير مناسب للزيارة ؟

بينيلوبى : لا ، بالطبع . يسرنى دائماً أن أراك .

السيدة فيرجسون : قضيت ساعات العصر بأكملها فى التسوّق . ثم خطر لى فجأة أنى لم أرك منذ عهد بعيد .

بينيلوبى : أتعرفين أمى التقية ؟

السيدة فيرجسون : كيف حالك ؟

بينيلوبى : وهذا أبى النبيل . وهذا خالى .

بارلو : كيف حالك ؟

[ يبدو واضحاً أن السيدة فيرجسون قد استهوته كثيراً ] .

السيدة فيرجسون : [ تلتفت بلطف إلى ديكى ] ألم تنسى ؟

ديكى : لا بالطبع .

السيدة فيرجسون : نحن لم نتقابل منذ دهور ، أليس كذلك ؟

ديكى : أجل ، منذ دهور .

السيدة فيرجسون : مررت بجانبك فى «پيكاديلى» منذ أيام ، فتجاهلتنى تماماً .

ديكى : آسف كل الأسف . فنظرى شديد القصر .

پينيلوپى : إنك لست قصير النظر بحال يا ديكى ، فكيف تستطيع تلفيق أكاذيب كهذه ؟

بارلو : [ بكياسة متعالية ] يشعر ديكى أن الحائل المادىّ هو العذر الوحيد الذى يمكن أن يبرر عدم التفات الرجل إلى امرأة جميلة .

السيدة فيرجسون : أوه إنه لكرم منك أن تقول هذا .

بارلو : أبداً ، أبداً .

پينيلوپى : أردت شكرك على أنك جئت لديكى بهذه العميلة الطيبة .

ديكى : [ بعجلة ، وقد رأى نظرة الدهشة على وجه السيدة فيرجسون ] كنت الساعة أحدث زوجتى عن السيدة ماك .

السيدة فيرجسون : [ دون أن تفهم شيئاً ] أوه ، نعم .

ديكى : كان كرما منك حقاً أن تشيرى عليها

باستدعائى لعلاجها . وقد ذهبت لأعودها بعد ظهر اليوم .

السيدة فيرجسون : [مدركة الأمر] أوه ، نعم ، فأنا أحب أن أبذل جهدى فى معاونة الناس . وآمل أن تجدها عميلة لطيفة .

پينيلوپى : يبدو أنها فى حاجة إلى زيارات كثيرة .

السيدة فيرجسون : نعم ، وكانت تحدثنى منذ أيام فقط عن إعجابها الشديد بالدكتور أوفاريل ، وأخشى أن يكون مرض العزيزة المسكينة شديد الوطأة .

ديكى : أقول لك الحق ، إن حالتها تقلقنى كثيراً .

السيدة فيرجسون : من بواعث العزاء لأصدقائها جميعا علمهم أن الدكتور أوفاريل يتولى علاجها

بارلو : إنى لأتساءل أهى من أسرة ماك فى ستافورد شاير أم من أسرة ماك فى سومرستشاير ؟

ديكى : لاعلم لى بذلك قط .

بارلو : ماذا تعنى بقولك هذا ؟ لابد أن تكون مريضتك من هذه الأسرة أو تلك .

پينيلوپى : ما شكلها ؟

ديكى : أوه ، لست أدرى . أظن أنها كغيرها من الناس .

پينيلوپى : لاتكن أبله يا ديكى . فأنت تعلم دون ريب أهى بدينة أم نحيلة .

ديكى : [ ناظراً إلى السيدة فيرجسون ] أراها سمينة أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : مفرطة السمنة .

پينيلوپى : أهى كذلك ؟

ديكى : وشعرها أشيب

السيدة فيرجسون : وكله جدائل لولبية صغيرة .

ديكى : [ ضاحكا ] نعم . ولست أدرى كيف تصنعها

السيدة فيرجسون : ولها عينان زرقاوان بديعتان ، أليس كذلك ؟

ديكى : نعم . عينان زرقاوان بديعتان .

پينيلوپى : وما اسمها الأول ؟

ديكى : لست أدرى كلية .

السيدة فيرجسون : [ فى سرعة ] كاترين .

پينيلوپى : كاترين ماك ؟ إنها صديقتك القديمة ياأمى ، كاترين ماك ... يالها من مصادفة غريبة !

جولايتلى : كاترين ماك . أى نعم ، بالطبع إنى أتذكرها جيداً . الجدائل الشيباء اللولبية

الصغيرة ، والعينان الزرقاوان البديعتان .

پينيلوپي : ألا يسرّها أن تعودها أمي ؟

ديكي : أخشى أنها لا تستطيع حتى الآن لقاء أحد .

جولايتلي : لابد أن تخبرها أننا آسفون جداً لمرضها

ديكي : أي نعم . سأبلغها أية رسالة تريدونها .

السيدة جولايتلي : [ في شيء من الجفاء وهي تقوم ] أظن أنه ينبغي عليّ الانصراف . أتأتي معي يا تشارلز ؟

جولايتلي : نعم ، يا عزيزتي .

پينيلوپي : مع السلامة يا أمي العزيزة .

[ يتحدثون جانباً بينما ترتدي السيدة جولايتلي معطفها . ويتركون ديكي منفرداً في الواقع بالسيدة فيرجسون ] .

ديكي : [ بصوت منخفض ] خبريني ماذا جاء بك إلى هنا الآن ؟

السيدة فيرجسون : إنك لم تخبرني عن الميعاد الذي أقابلك فيه غداً .

ديكي : عجباً . كنت تستطيعين مخاطبتي تليفونيا .

السيدة فيرجسون : أوه ، أنا لا أأتمن التليفون أبداً

ديكي : ماذا تعنين بأنك لا تأتمنين التليفون ؟ هل تعودت أن ...

السيدة فيرجسون : ديكي !

ديكي : عفواً . أنا لم أقصد ذلك .

السيدة فيرجسون: بالله ماذا دعاك إلى اختلاق هذه الحكاية السخيفة عن السيدة ماك ؟

ديكى : أنا لم أختلقها . ولكنها اختلقت نفسها . فقد اضطررت إلى تعليل تنقلاتى .

السيدة فيرجسون: أتعنى بقولك هذا أن زوجتك تسألك أين كنت وإلى أين تذهب ؟ ما أشبه هذا بخلق المرأة ! [فى براءة] وعلى فكرة ، كيف ستقضى هذه السهرة ؟

ديكى : [مغتبطاً] أوه . سأتناول طعام العشاء مع پينيلوپى فى مطعم كارلتون ، ثم سنذهب إلى إحدى قاعات الموسيقى .

[يأتى بارلو صوبهما]

بارلو : إلى اللقاء يا سيدة فيرجسون .

السيدة فيرجسون: [مظهرة شدة العاطفة] إلى اللقاء .

بارلو : [إلى پينيلوپى وهو يصافحها] إمرأة رائعة حقاً.

پينيلوپى : [تتظاهر بالغضب] يا خالى دافينپورت !

بارلو : إلى اللقاء يا عزيزتى. إنها سيدة مجتمع حقاً.

[يخرج بارلو والسيدة جولايتل]

جولايتل : [وهو يتبعهما] هل هدأت نفسك ؟

پينيلوپى نعم . دعنى أدبر الأمر . لقد بدأت أتبين طريقى .

جولايتلى [ وعلى ثغره ابتسامة ] لاحظت ذلك .

[ يخرج جولايتلى ]

السيدة فيرجسون خالك رجل ظريف يا پينيلوپى ، رجل ممتاز حقاً .

پينيلوپى إنك غزوت قلبه ، وقد قال لى عنك إنك إمرأة رائعة جداً .

السيدة فيرجسون حقاً ؟ يقول الرجال عنى غالباً إننى إمرأة كلها أنوثة .

پينيلوپى لعل القولين يؤديان إلى نفس المعنى .

السيدة فيرجسون ولكن لا بد من انصرافى أنا أيضاً فوراً . فالواقع أنه لم يخطر ببالى أن الوقت متأخر إلى هذا الحد .

پينيلوپى أأنت مشغولة الليلة ؟

السيدة فيرجسون أوه ، لا . فأنا أعيش فى هدوء تام ، ولا أجـد شيئاً أمتع من قضاء سهرة بمفردى ، .. مع كتاب .

پينيلوپى كنت فيما مضى شديدة الولع بالحفلات .

السيدة فيرجسون أنا أعلم أن زوجى يؤثر اعتكافى فى المنزل . وعنـد ما أفكر فيه وهو يخدم وطنه بشجاعة فى بلد غريب لا يطاوعنى قلبى على اللهو .

بينيلوبى : يا للطبع الفاتن !.

السيدة فيرجسون : (إلى ديكى) إن زوجى رجل عسكرى ومقر عمله فى مالطه كما تعلم . ومن المؤلم حقاً أن صحتى تضطرنى إلى البقاء فى إنجلترا .

بينيلوبى : تُرى أيمكن أن تؤدى لى معروفاً كبيراً ؟

السيدة فيرجسون : يا عزيزتى ، أنا على استعداد دائماً لأداء أية خدمة لصديقة قديمة .

بينيلوبى : الواقع أنى عانيت صداعاً مزعجاً طوال هذا المساء .

ديكى : [منتصراً] لقد أدركت ساعة مجيئى أن بك شيئاً .

بينيلوبى : ان لدينـــا مقعدين محجوزين الليلة فى إحدى القاعات الموسيقية . فإذا ذهبت إلى الحفلة مع ديكى بدلا عنى كان ذلك فضلا كبيراً منك .

[تدور نظرة تفاهم بين ديكى والسيدة فيرجسون]

السيدة فيرجسون : أنا ؟

بينيلوبى : ديكى يكره الخروج بمفرده ، وأنا فى الواقع لا أستطيع حراكاً . إنكما تستطيعان أن تتناولا معاً أكلة صغيرة شهية فى أحد المطاعم ، ثم تذهبان إلى الحفل .

ديكى : أواثقة أنت من عدم قدرتك على الذهاب يا پين ؟

پينيلوپى : لا جدال فى هذا قط .

السيدة فيرجسون ألاتظنين أن الأجدر بالدكتور أوفاريل أن يبقى للعناية بأمرك ؟

پينيلوپى أوه ، لا ! فإن الخروج يفيده ، لقد اجهد نفسه فى العمل كل الإجهاد ، واشترك بعد الظهر فى استشارة طبية استغرقت ما يقرب من ساعة .

السيدة فيرجسون [لديكى] أتريدنى أن أذهب معك ؟

ديكى أحب ذلك إذا كان لا يضايقك .

السيدة فيرجسون إذن سيبهجنى أن أصحبك .

پينيلوپى أشكرك كل الشكر . ولكن الوقت تأخر جداً ، وأظن أنه يجدر بكما الخروج فى الحال .

ديكى أأنت واثقة يا پينيلوپى من أن تركى لك وحدك لا يضايقك ؟

پينيلوپى أؤكد لك ذلك .

ديكى حسنا . انتظرى دقيقة واحدة وسأعد لك جرعة من دواء .

پينيلوپى [بسرعة] أوه ، لا . أؤكد لك أنى أغدو

أحسن حالا بدون الدواء .

ديكى : هراء . لابد لى بالطبع من أن أعطيك دواء . [يخرج]

السيدة فيرجسون : هذه هى فائدة وجود طبيب فى الأسرة

پينيلوپى : [بتعب] نعم إنها فائدة جلى .

السيدة فيرجسون : أنا فى الحق أحسدك على وجود زوجك إلى جانبك . وكلما فكرت فى زوجى يخدم وطنه فى شجاعة — وأنت تعلمين أنى لم أذهب إلى طبيب إلا وأنبأنى بأن سفرى إليه يعرضنى لخطر كبير .

[يحضر ديكى ومعه كوب طبى مملوء بسائل فى لون اللبن ] .

ديكى : هاهوذا الدواء .

پينيلوپى : أوه ، لا ياديكى . فأنا أفضل ألا أتناوله .

ديكى : لاتكونى بلهاء ياعزيزتى . فلاشىء يشد قواك مثل هذا الدواء .

السيدة فيرجسون : رأيى أن ترقد .

پينيلوپى : لا . وأظن أنى أفضل الوقوف إذا لم يكن عندك مانع .

ديكى : إنك غير معقولة أبداً . والآن ارقدى فوق هذا المتكأ .

پينيلوپى : سأفعل إذا لم يكن من ذلك بد . [ترقد فوق المتكأ المستطيل ]

السيدة فيرجسون : لا بد أن نوفر لك الراحة قبل خروجنا .
ديكى : لنضع جميع الوسائد خلف ظهرها . أهذا حسن ؟
پينيلوپى : نعم ، أشكرك
ديكى : يا للصغيرة المسكينة .
السيدة فيرجسون : لا شك أنها تحتاج إلى غطاء فوق رجليها .
ديكى : لنضع هذه (البطانية) على قدميها... هاهى.
: والآن خذى الدواء ... هوذا ...
پينيلوپى : أوه ، لا يا ديكى . سأتجرعه بعد خروجكما . سأتجرعه حقاً . إنى أعدك بذلك.
ديكى : وأى شىء بالله يحول دون تجرعه الآن ؟
پينيلوپى : الواقع أنى أكره أن أعبس بوجهى أمامكما .
ديكى : ولكنى كثيراً ما رأيتك تعبسين .
پينيلوپى : نعم . أعبس لك . هذا شىء آخر .
ديكى : والآن تجرعيه كما تفعل الفتاة الطيبة .
پينيلوپى : بعد انصرافكما .
السيدة فيرجسون: [ مصممة كل التصميم ] لن أتحرك من هذه الغرفة إلا بعد أن تتجرعيه .
پينيلوپى : [ مستسلمة ] أعطنيه . أمسك أنفى يا ديكى [ تبلع الدواء وتعبس ] أوه ، ليتنى لم أتزوجك

يا ديكى .

ديكى : سيجعلك تشعرين كالحصان .

پينيلوپى : ولكنى لا أريد أن اشعر بأنى كالحصان .

السيدة فيرجسون: إلى اللقاء . يؤسفنى أن أراك موعوكة .

ديكى : إلى اللقاء يا عزيزتى .

پينيلوپى : آمل أن تقضيا أمتع وقت .

[ يخرج ديكى والسيدة فيرجسون . وتهب پينيلوپى واقفة ، وتلقى بالوسائد جانباً فى غضب . وتخطو خطوة أو خطوتين صوب الباب كأنها تهم بأن تستدعيهما . ثم تتوقف ] .

پينيلوپى : لا ، لن أفعل ذلك . لن أفعل ذلك .

[ وتعود على مهل ، ثم تتهالك على المقعد وتنفجر باكية ] .

انتهى الفصل الأول

# الفصل الثانى

## المنظر

غرفة عيادة الدكتور أوفاريل . وهى مؤثثة برياش مريحة ، وحوائطها معلق عليها صور محفورة ، وصورٌ «فوتوغرافية» فى أطر فضية ... وفوق المدفأة أزهار وبأحد جوانبها مكتب كبير عليه صحف وكتب ومصباح كهربى ؛ وله كرسى دوار لجلوس ديكى ، وفى الناحية المقابلة للمكتب كرسى آخر لجلوس المرضى . وعلى منضدة جانبية ميكروسكوب وحامل لأنابيب الاختبار ، وزجاجة دواء أو زجاجتان ، وصف من زجاجات كبيرة مملوءة بمواد كيميائية ، ومصباح كهربى . وبالغرفة أيضاً متكأ ؛ بغير مساند معد لرقاد المرضى ، فضلا عن كرسى أو كرسيين . وعلى الرفوف كتب طبية .

وفوق منضدة صغيرة مجموعة من مجلة « دى لانسيت »

ديكى جالس إلى مكتبه ، وسماعته الطبية ما زالت عالقة بأذنيه ، وأحد المرضى واقف يزرر حمالة سراويله ، ويرتدى صداره وسترته أثناء مجرى الحديث . والرجل قصير حيّ جدا ، أصلع الرأس ، ذو عوينات ذهبية ... شديد العصبية كثير الاعتذار .

ديكى : سأكتب لك الآن تذكرة الدواء ، هل تسمح ؟

المريض : أوه ، هذا تفضل كبير منك ، وأخشى أن أكون قد أزعجتك إزعاجاً شديداً .

ديكى : لا ، أبداً . والآن أى دواء تريد أن أصفه لك ؟

المريض : [ شديد الارتباك ] أوه ، كما تشاء ، من فضلك ، هذا تفضل كبير منك .

ديكى : ليس بك مرض ذو بال .

المريض : أوه ، كم أنا متأسف ! . إننى حقاً ، حقاً . . . .

ديكى : كنت أظنك أولى أن تسر .

المريض : [معتذرا] نعم ، بالطبع . أنا مسرور جداً . ولم أكن أقصد ذلك . . . إنى شغلت كثيرا من وقتك .

ديكى : أنا لا أكسب رزقى إلا من الذين لا يعانون شيئاً ذا بال . أما المرضى فإمّا يشفون وينصرفون عنى ، وإمّا يموتون ، وبهذا تنتهى صلتى بهم .

المريض : نعم ، أدرك ذلك . ولكنه لم يخطر لى ببال قط . . . إنه ليوم بديع ، أليس كذلك ؟

ديكى : هلاّ جلست ؟

المريض : أوه . إنه تفضل كبير منك . أشكرك . أشكرك ، أخشى أن أكون قد شغلت قدراً كبيراً من وقتك .

ديكى : أنا أُجلس عملائى دائما فى الناحية المقابلة من مكتبى منذ أن رأى أحدهم فجأة أفعى تزحف علىّ ، فانقض على عنقى لينقذنى من لسعها ، وكاد فى انقضاضه علىّ أن يخنقنى . وعندما جثوث على صدره اتهمنى بأنى شيطان جاحد للجميل ، وقال إنه لن يتعرض للأفاعى إذا زحفت علىّ ثانيـــة .

المريض : [ شديد الانفعال ] أوه ، ولكنك [لا تظن أنى أتهددك أى تهديد بالانقضاض على عنقك ، أليس كذلك ؟

ديكى : [ يطلق ضحكة ] لا ، بالطبع ..

المريض : أنا لا أشرب شيئاً وقت الغداء . وأشرب النبيذ الأحمر والماء مع العشاء .

ديكى : أحسبك لا تظن أنك حصلت على مقابل لمالك [إذا لم أصف لك دواء ؟

المريض : آه ، إنه تفضل كبير منك . ولكنى أرى أن تصف لى شيئاً [رضاء لزوجتى .

ديكى : حسناً ، انظر . فى تذكرة الدواء شىء من « الستريكنين » لتقويتك ، وشىء من « البزموت » لتهدئة أعصابك ، اشرب هذا الدواء ثلاث مرات بعد الأكل يومياً .

المريض : أوه ، أشكرك شكرا جزيلا . أنا واثق من أن هذا ما أحتاج إليه بالذات . والآن — [ .... والآن — [ ....

[ يقف وقد غلبه الارتباك الشديد ]

ديكى : أظن أنه لم يبق شىء أستطيع أن أصنعه لك .

المريض : لا ، [ .. [ .. — أشكرك شكرا جزيلا .

أنا — ..!.. إنه تفضل كبير منك أن تتعب نفسك كل هذا التعب. نعم، إ ....

ديكى : [يفهم قصده] أوه ... أجرى جنيهان وشلنان .

المريض : [يحس بفرح لا حد له] أوه ، شكرا جزيلا. هذا هو ما أردت السؤال عنه بالذات .. أأكتب لك شيكاً ؟

ديكى : نحن نفضل دائماً أن نتقاضى الأجر نقداً مخافة أن يكون الشيك زائفاً .

المريض : أوه ، بالطبع . هذا تفضل كبير منك . حسبت أنك ربما لا تريد الأجر نقداً .

ديكى : إنه لمن العجب أن يضطرب الناس حين ينقدون الطبيب أجره . ليتكم تعلمون كم يكون سروره بتسلمه .

المريض : نعم . شكرا جزيلا .

[يخرج المريض جنيهين وشلنين من جيبه ، ويضعهما مضطرباً على ظهر المدفأة]

ديكى : حقاً يا رجل . لا تضعهما على ظهر المدفأة ... إن لكل شيء حداً .

المريض : أوه ، أستميحك عذرا . كم أنا متأسف .

ديكى : نحن نؤثر دائماً وضع الأجر على المكتب .

المريض : أنا لم أعتد استشارة الأطباء فى عياداتهم .

ديكى : هذا واضح . وإلا لأعطيتنى جنيهين فقط ، وقلت إنك لم تجد معك شلنين... لا سيما إذا كنت امرأة .

المريض : هذا عجيب ؟ إنه لم يخطر ببالى قط .

ديكى : أشكرك . حسناً ، طبت مساء .

المريض : طبت مساء ، وشكراً جزيلا . إنه يوم بديع ، أليس كذلك ؟ طبت مساء .

[ يسير به ديكى إلى الباب ، ويشيعه للخارج . وعند الباب يقع نظره على جولايتلى ]

ديكى : هالوا ! ادخل من فضلك ؟ [ ينظر لأعلى وينادى ] پين ، هوذا أبوك الكريم .

[ يدخل جولايتلى ]

جولايتلى : كنت على وشك الصعود للقاء پين .

ديكى : تعال اجلس هنا ، ولندخن معا قليلا .

جولايتلى : ألا تتوقع مجئ بعض المرضى ؟

ديكى : أوه ، نحن الآن فى الخامسة ، ولا أعتقد أن مريضاً آخر سيحضر . ونستطيع أن نتناول الشاى هنا تحت .

جولايتلى : كيف تسير الأمور ؟

ديكى : الحال سيئة . انظر ، جنيهان وشلنان يتيمان

هذا كل دخل هذا المساء .

[ تدخل بينيلوبى ]

بينيلوبى : حسناً ، يا أبى ؟

جولايتلى : قبل أباك الكريم يا بنيتى ... أنت ترتدين ثوباً جديداً .

بينيلوبى : إنه يعجبنى . ألا يعجبك ؟

ديكى : أهو رداء جديد آخر يا پين ؟ .

بينيلوبى : نعم ياعزيزى . ولم السؤال ؟

ديكى : أوه ، لاشئ .

بينيلوبى : لا بد لزوجة طبيب عصرى أن تنفق قدراً كبيراً من المال على ثيابها .

جولايتلى : كان ديكى يشكو من سوء حالة العمل .

ديكى : ماذا تتوقعون فى مثل هذا الجو اللعين ؟ فاليوم يمر تلو اليوم صحوا جافا بارداً . ولم نكابد الضباب ولو مرة هذا الخريف ، وهذا لا يتيح للطبيب أية فرصة . ففى مثل هذا الجو يكون الناس كلهم بالطبع أصحاء ، وأحوال الأطباء تزداد سوءاً . فالمجارى النظيفة متوفرة للجميع اليوم ، والحكومة المتملقة للشعب تمد الناس بالماء النقى . ولولا الأدوية الخاصة المسجلة

ومرضى الوهم لهلك نصف أطباء لندن جوعاً .

بينيلوپى : لاتقلق بالك ياديكى . فقد يقع حادث لسيارة أمام بيتنا بالذات فى يوم من الأيام.

ديكى : قد يكون حظى بالذات أن يهلك جميع من يصيبهم الحادث ، لا ، فالذى أريده حقا هو انتشار وباء خطير حقاً ، انتشار نوع من الأنفلونزا المعقدة التى يرقد لها المريض على ظهره زهاء شهر كامل مثلا.

بينيلوپى : وإذا أصبت أنا بها فرضاً ؟

ديكى : حسنا ، إذا أصبت بها كان على الرذل المقيم فى الناحية المقابلة من الشارع أن يعالجك . ولن يستطيع أن يتقاضى من زوجة طبيب أجراً . وسيصرف بأسنانه أسفاً على الوقت الذى اضطر إلى إنفاقه سدى .

بينيلوپى : الرذل المقيم فى الجانب المقابل من الشارع هو الدكتور روجرز . وهو يعجبنى أكثر من ديكى .

ديكى : إنه حمار منتفخ الأوداج .

بينيلوپى : إنه له طريقة لطيفة حانية على المريض .

ديكى : إنك لم تجربى قط طريقتى الحانية [ ينظر إلى يديه ] ولكن على أن أذهب وأغسل يدى ، فهما ملوثتان بحمض (البكريك) .

[ يخرج ]

پينيلوپى : أين أمى ؟ أهى مشغولة بهداية الوثنيين؟

جولايتلى : نعم ، تهديهم من البرت هول ... على مسافة مأمونة .

پينيلوپى : [ يتغير أسلوبها ] لقد سرنى أنك جئت وحدك

جولايتلى : أهناك شىء يزعجك ؟

پينيلوپى : [ منفجرة ] لا أستطيع المضى فى هذا أكثر مما مضيت ، فقد استنفدت آخر ما أملك من قوة .

جولايتلى : ألا يزال ديكى ... ؟

پينيلوپى : نعم ، وعبثاً حاولت أن أتصور ما يجده فيها . فأنا أجلس أحياناً وأرقبها ، وأتساءل متعجبة عما تتحلى به من دونى !! إنك لا ترانى قبيحة ، أليس كذلك ؟

جولايتلى : لا ، قطعاً . وإلا لتركتك فى العراء يوم مولدك كما كان الإسپرطيون القدامى يفعلون

بينيلوبى : كم من رجال يودون أن يصارحونى بأنى خلابة جداً .

جولايتلى : لماذا لا تدعيهم يقولون ذلك ؟

بينيلوبى : يا أبى العزيز ، إنك أشد الآباء الذين قابلتهم تنكراً لقواعد الأخلاق .

جولايتلى : [ مستنكراً بهزة كتف خفيفة ] قد تكون هذه سياسة .

بينيلوبى : [ وهى تهز رأسها ] لا ، لست أدرى إذا كنت سأتمكن إطلاقاً من استرجاع ديكى إلىّ ثانية ، ولكنى لا أريد أن أسترجعه بإثارة غيرته . أنا لا أريد حبه إذا كنت لا أستطيع الحصول عليه إلا بإيهامه أن رجالا آخرين يهيمون بى .

جولايتلى : تذكرى أن حاصل جمع واحد وواحد لا يكون ثلاثة أبداً .

بينيلوبى : [ نافدة الصبر ] من السهل أن تنصح غيرك . فما عليك فى هذه الحالة إلا أن تجلس وترقب . أما أنا فعلىّ أن أعمل شيئاً ... وأسوأ ما فى الأمر أن عملَ شىءٍ فى هذه الحالة يعنى عمل لا شىء .

جولايتلى : يا عزيزتى .

بينيلوبي : والآن لا تتظاهر يا أبي بأنك غير فاهم ، وإلا قذفت رأسك بشيء ما . ولم يكن الأمر يسوء إلى هذا الحد لو أني استطعت أن أنهض وأعمل . ولكن المطلوب مني لا يعدو أن أجلس وأتمالك جأشي . إنك لا تستطيع أن تتصور ما كابدته خلال هذا الشهر وأنا محتفظة بوجه باسم . فقد ضحكت وقلبي يوجعني ، ومازحت ديكي وأنا أعلم أنه ذاهب للقاء أدا فيرجسون ، ورتبت حفلات صغيرة لأجمع بينهما . ولم أجرؤ حتى على البكاء وأنا منفردة خشية أن ترى أدا فيرجسون احمرار جفوني فتخبر ديكي بذلك . إنه كان يذهب إليها كل يوم . كان يلقاها كل يوم ، كل يوم بلا استثناء خلال الشهر الأخير . وكنت أنا طوال تلك المدة أبدو جذلة لطيفة مسلية .

جولايتلي : ولكن كيف يستطيع أن يجد الوقت ؟

بينيلوبي : أهمل عمله بالطبع . فكان يرسل مساعده لعيادة المرضى الذين كان يجب أن يعودهم بنفسه . إنك تذكر السيدة ماك ، أليس كذلك ؟

جولايتلى : [مبتسما] السيدة ماك المزعومة ؟ نعم .

پينيلوپى : ليتك تعلم كم كرهت السيدة ماك ! كانت تُجرى لها جراحات بمعدل جراحة كل أسبوع . ويخرج ديكى فى سيارته ، ويغيب طول النهار .

جولايتلى : لا بد أن تكون لها بُنْية الحية البواء .

پينيلوپى : والمدهش فى الأمر أن جراحتها تُجرى دائما فى يوم من أيام سباق الخيل ، فقد أجريت لها جراحة يوم أقيم سباق « ديوك أوف يورك » فى كيمپتون ، وأجريت لها أخرى يوم سباق سيزارويتش ، وثالثة يوم سباق ساندوون .

جولايتلى : ما أغرب هذا .

پينيلوپى : لن تستغربه حين تعلم أن أدا فيرجسون تعشق سباق الخيل . والذى يثيرنى أشد ثورة هو يقينى من أن «ديكى» يدفع لها رهانها ، فإذا فاز جوادها استولت على الربح ، وإذا تخلف لم تدفع الرهان .

جولايتلى : يخيل إلى أن هذا تصرف دنئ جداً . ولكن ماذا يحملك على الظن بأنها تفعل هذا ؟

پينيلوپى : أنا نفسى أفعله . . . مسكين ديكى ،

سيكلفه الأمر مبلغاً جسيماً هذا الشهر .

جولايتلى : لماذا ؟

پينيلوپى : لأنه كلما قضى نهاره خارج المنزل اضطررت إلى مواساة نفسى بشراء شئ من الأشياء ، واخترت فى العادة شيئا غالياً نوعاً ما .

جولايتلى : لست أذكر أنى أشرت بهذه النصيحة علاجاً للزوج المتقلّب .

پينيلوپى : لا . فأنا أضفتها من نفسى .

جولايتلى : ولكن لماذا طلبت حضورى اليوم ؟

پينيلوپى : لأن النهاية حانت . فأنا لم أعد أستطيع الاحتمال بعد الآن . لقد أخبرنى ديكى هذا الصباح أن صحة السيدة ماك تحسنت إلى حد يتيح نقلها إلى مكان آخر ، وأنه سيرحل بها إلى باريس ليعينها على ركوب قطار الريفيرا .

جولايتلى : أقصدك أن تقولى إنّ ...

پينيلوپى : [ وهى تهز كتفيها فى غضب ] ترغب أدا فيرجسون فى رحلة قصيرة إلى باريس .

جولايتلى : وماذا تنوين أن تصنعى ؟

پينيلوپى : سأقول له إن عليه اختيار واحدة منا نحن الإثنتين . وسأبذل كل ما أستطيع

لأحـــول دون سفره ... أنا أنوى أن أخبره بأنه إذا سافر انتهى الأمر بيننا .

جولايتلى : أوه !

پينيلوپى : لا تقل أوه ! بل قل إنى مصيبـــة كل الصواب . قل إن هذا هو الشىء الوحيد الذى ينبغى عمله .

جولايتلى : ولكنى أرى أنك مخطئة كل الخطأ .

پينيلوپى : مخطئة !

جولايتلى : أنت لاتحسبين أنه يريد السفر معها إلى باريس، فما من رجل محتفظ برشده يقدم على مثل هذه المجازفة .

پينيلوپى : لماذا يعتزم الرحيل إذن ؟

جولايتلى : لأنها ترغمه على ذلك . وإذا حدث مرة أن امرأة فى مثل هذه الظروف أرغمت رجلا على فعل ما لا يريد ، فإن هذا يكون بداية النهاية .

پينيلوپى : ومن أين لك العلم بذلك ؟

جولايتلى : أنا لا أعلم ذلك ، ولكنى أحذره .

پينيلوپى : يبدو لى أن قضاءك العمر بأكمله فى دراسة الرياضيات أدى إلى إلمامك بعلم آخر مختلف كل الاختلاف .

جولايتلى : كونى فتاة طيبة يا پين ، ودعيهما يرحلان
[ تمر فترة سكوت تسند پينيلوپ رأسها بيديها خلالها ، وتحدق فى أبيها ، وتفكر فى الأمر ]

پينيلوپ : إنك كنت على حق حين قلت إنى فى حاجة إلى قدر كبير من اللباقة ، وقدر كبير من الصبر ، وقدر كبير من ضبط النفس . يا لله !

جولايتلى : [ مبتسما ] وبعد ؟

پينيلوپ : لن أفعل شيئاً . سأمسك لسانى ، وأبتسم ، وأحكى الفكاهات والنكات ، ولكن ...

جولايتلى : نعم ؟

پينيلوپ : إنى فى حاجة ماسة إلى قبعات . سأحادث « فرانسواز » فى التليفون الآن وأطلب إليها إرسال كل ما فى دكانها من قبعات
[ يدخل ديكى ]

جولايتلى : كنت أهم بالانصراف .

ديكى : آسف ... ولم هذه العجلة ؟

جولايتلى : وعدت زوجتى بأن أصحبها إلى المنزل .

پينيلوپ : لابد أن تعود ثانية . فهذه هى أول مرة أفترق فيها عن ديكى منذ زواجنا . وسأحتاج إلى إخفاء رأسى فى صدر أمى بينما يربت أبى النبيل على يدى .

ديكى : وددت أنك لم تقابلى الأمر بهذا الهدوء يا پين . فقد يحز ذلك فيك بعض الشىء .

پينيلوپى : ولكنى يا عزيزى أعد كل عدة لأصاب بنوبة إثر نوبة من النوبات الهستيرية الحادة . ولا أستطيع أن أزيد .

ديكى : ويلى ، هذا صحيح .

پينيلوپى : [ عن قصد معين ] أنا أعلم على أية حال يا ديكى أنه لولا اضطرارك إلى السفر لما سافرت . فأنت تسافر لشعورك بأن هذا واجبك ، أليس كذلك ؟

[ يتململ ديكى نوعاً ما ولكنه لا يتنبس . ويقطع جولايتلى السكوت المؤقت ]

جولايتلى : لماذا تسافر ليلا ؟

ديكى : [ بحد الفرج ] أوه ، سيكون الزحام كما تعلم أقل كثيراً . وهذا أكثر ملاءمة عند ما ننتقل بمريض .

پينيلوپى : [ جدلة ] ستكون الرحلة مفعمة بالمتعة . لأنك سترى كل الشبان المرحين الذاهبين فى رحلاتهم القصيرة إلى باريس مصطحبين حبيباتهم . وقيل لى إنهم اعتادوا السفر ليلا خشية أن يراهم أحد أثناء رحيلهم .

جولايتلى : حسناً ، لا بد لى من الانصراف وإلا تأخرت ، إلى اللقاء :

پينيلوپى : لا تُطيل غيبتك عنى يا أبى وإلا غلبنى الانفعال قبل أن تعود .

جولايتلى : [ مومئا برأسه ] آمل أن أراك فيما بعد يا ديكى .

[ يخرج . تسير پينيلوپى وكأنها تتبعه ]

پينيلوپى : سأصعد لأتناول الشاى .

ديكى : [ بشىء من الجفوة ] أريد أن أقول لك بضع كلمات يا پين .

پينيلوپى : اصعد معى إلى غرفة الاستقبال إذن .

ديكى : أفضّل أن أحادثك هنا .

پينيلوپى : [ تجلس ] حسناً جداً . تكلم .

ديكى : يمكنك أن تطلبى الشاى إذا شئت .

پينيلوپى : لا ، لن أتناوله ، ولِيَبْتَلّ هضمى .

ديكى : [ يخرج أوراقاً من جيبه ويناولها لپينيلوپى ] أتعرفين ما هذه الأوراق ؟

پينيلوپى : [ بابتسامة عذبة ] أهى .. فواتير ، ياعزيزى ؟

ديكى : أستطيع أن أرى أنها فواتير ، شكراً لك !

پينيلوپى : [ تلوح فى الهواء باحدى الفواتير ] هذه خاصة بالثوب الذى أرتديه . أترى أنه

لا يساوى هذا الثمن الغالى ؟ أترى ذلك ؟
[ تنظر إلى الثوب ] هذا الثمن يشتمل على أجرة التفصيل كما تعلم .

ديكى : [ يحاول الاحتفاظ بهدوئه ] وماذا تنتظرين منى أن أفعل بهذه الفواتير ؟

پينيلوپى : [ بلاكتراث ] يمكنك أن تلقى بها فى سلة المهملات إذا شئت . ولكنك تختصر الطريق إذا سددتها .

ديكى : [ يثور غضباً ] اسمعى يا پين . هذا غير معقول إطلاقاً . أنت تعلمين أنى لن أحتمل مثل هذا التصرف .

پينيلوپى : [ تظهر عليها دهشة شديدة ، وتقول ملاطفة ] إنك لن تثير يا عزيزى ضجة لأنى اشتريت لنفسى بعض الحاجيات القليلة البسيطة . إن ثيابى فى الواقع أصبحت خرقاً بالية ، وقد حسبت أنك تسر أن ترانى فى هندام حسن .

ديكى : سحقاً لكل شىء . إنى رجل فقير ، وقد أنفقت ما يزيد على مائة وخمسين جنيهاً فى هذا الشهر وحده .

پينيلوپى : [ فى هدوء ] أبلغ ما أنفقته هذا الحد ؟ من

حسن الحظ أنك وجدت مثل هذه العميلة الطيبة السيدة ماك ، أليس كذلك ؟

[ ينظر إليها نظرة ارتياب ، ولكى يتخلص من حكاية السيدة ماك ، ينفجر غاضباً ]

ديكى : أنا أسمى ذلك إسرافاً طائشاً . والآن انظرى ... هنا خمسة وثلاثون جنيها ثمن ثوب أزرق اللون اشتريته فى التاسع من أكتوبر — ثمن غير معقول .

پينيلوپى : يوم سباق « ديوك أوف يورك » فى كيمپتون .

ديكى : ماذا تقصدين بسباق « ديوك أوف يورك » فى كيمپتون ؟

پينيلوپى : تذكرت من توى أن السباق جرى فى نفس اليوم نفسه ، لأن مدام « كلود » دهشت إذ رأتنى يومذاك . وكان من المصادفة البحتة أنها لم تذهب إلى السباق هى أيضاً .

ديكى : ولكن أى شئ أوحى إليك أن تذهبى وتشترى ثوبا أزرق ؟

پينيلوپى : [ فى رقة بالغة ] حسناً . كان ذلك اليوم كما تعلم يا عزيزى يوم إجراء أول جراحة للسيدة ماك . وكنت أنت متغيبا طوال

اليوم فشعرت بكآبة ووحدة ممضّتين ، ولم يغب عنى ما كنت تعانيه من قلق ، فأقلقنى ذلك أيضاً . وعلى ذلك ذهبت من توى وطلبت حياكة ثوب أزرق لأسرّى عن نفسى قليلا .

[ ينظر ديكى إليها هنيهة ، ثم يهبط ببصره إلى الفانورة ، ويوشك أن يتكلم ، ولكنه لا ينطق شيئاً . وتلاحظه پينيلوپى ]

ديكى : [ نجاء ] ثم هذا أيضاً ، قفاز وكاب من « الارمين » فى يوم ١٣ أكتوبر .

پينيلوپى : نعم هذا يوم إجراء الجراحة الثانية للسيدة ماك المسكينة .

ديكى : الحق إن المسألة فى رأيى تجاوزت الحد بعض الشئ .

پينيلوپى : حسناً ، كان لا بد أن أصنع شيئاً أثناء غيابك . وقد رأيت الجميع يتوجهون فى عرباتهم إلى شارع « ليفربول » حاملين منظار السباق المعظم فشعرت بتعاسة شديدة .

ديكى : معذرة ، فأنا لم أفهم قصدك .

پينيلوپى : إن يوم ١٣ من أكتوبر كان كما تعلم يوم سباق سيزا رويتش .

ديكى : وأظنك ستتبعين الطريقة نفسها لتبرير

سائر «الفواتير» [ ينظر فى فاتورة ] يوم ٢٢ أكتوبر .

بينيلوبى : سباق ساندوون [ يجول ديكى ببصره فى «الفاتورة» غاضباً ، ولكنه لا يقول شيئاً ] إنى أعجب لماذا كنت تحدد لجراحاتك دائماً اليوم الذى يجرى فيه سباق هام !

ديكى : أظنك ترين ذلك غريبا ؟

بينيلوبى : بعض الغرابة .

ديكى : حسناً ، ليس الأمر غريباً قط ، إنها طريقة من طرق صديقى العجوز « بيتر مارزدين » الشاذة . لقد قلت لك إن « بيتر مارزدين » هو الذى أجرى تلك الجراحات ، أليس كذلك ؟ [ تومئ بينيلوبى برأسها ] فالواقع أنه مجنون تماماً بالسباق . وقد أضاع عليه مبلغاً جسيما من المال إلى حد أنه صار يختار لإجراء كل جراحة هامة نفس اليوم المحدد للسباق ، وذلك ليستحيل عليه حضور حفل السباق كل الاستحالة .

بينيلوبى : عجوز مضحك [ ينظر اليها ديكى مرتاباً ، فتقول بضحكة ] أقصد « بيتر مارزدين » ، لا أنت يا عزيزى .

ديكى : والآن اسمعى يا پين . كفى حديثاً عن تلك الفواتير . وسأسدد مبالغها هذه المرة...

پينيلوپ : كنت أعلم أنك ستفعل .

ديكى : ولكن يجب ألا تستجد فواتير أخرى .

پينيلوپى : لست أدرى حقاً لماذا تثير كل هذه الضجة ، مع أنك كنت تحصل من السيدة ماك على أكوام وأكوام من المال .

ديكى : ينبغى ألا نعد كتاكيتنا قبل أن يفرخ البيض ، فأنا لم أحصل منها على مليم واحد بعد .

پينيلوپى : أما وهى تزمع الرحيل الآن فتستطيع أن ترسل إليها قائمة حسابك .

ديكى : أوه ، لا إخال أنى أستطيع ذلك ، فقد يقتلها هذا .

پينيلوپى : ألا تظن أنه يمكنك المجازفة ؟

ديكى : أعتقد يا پين أنك قاسية جداً . فأنت تنسين أنى شديد التعلق بتلك السيدة . فإنى أعدها صديقة كما أعدها عميلة .

پينيلوپى : لعلها توصى لك بشىء بعد موتها ، فنحن فى حاجة إلى سيارة كهربيّة ، أليس كذلك ؟

ديكى : أوه ، لن أقبل هذا . فأنا أمقت أن يحصل

الأطباء على تركات من عملائهم :

پينيلوپى : حسناً ، يمكنك أن تطالبها بمائة وخمسين جنيهاً على الأقل لسفرك بها إلى باريس .

ديكى : [ فى فزع ] پين !

پينيلوپى : أوه ! لقد أفزعتنى .

ديكى : أنت لا تنوين شراء أشياء أخرى؟

پينيلوپى : حسنا يا عزيزى ؛ أنا أعلم أنى عندما أستيقظ صباح غد ولا أجدك هنا ، سينتابنى شعور أليم بالوحدة والضيق .

ديكى : [ مقاطعاً ] اطلبى من أمك التقية أن تقيم معك .

پينيلوپى : وقد خطر لى أنى ، بكل بساطة ، لا أملك قبعة أستطيع ارتداءها . .

ديكى : [ عابساً ] پينيلوپى .

پينيلوپى : [ محاولة إقناعه ] لو أن لى بعض القبعات الجميلة لأعان ذلك على أن تعيش أثوابى مدة أطول ، إذ يكفى أن تبدل المرأة قبعتها كما تعلم ليظن الناس أنها ترتدى ثوباً جديداً .

ديكى : وهل أتجاسر فأسأل كم قبعة تحتاجين إليها للتغلب على ضيقك ؟

پينيلوپى : (مصممة) ثلاث .

ديكى : أنا لم أسمع فى حياتى بمثل هذا السخف .

پينيلوپى : اسمع ياديكى . أنا أريد أن ألتقى بك فى منتصف الطريق، ولذا أعدك ألا يزيد ثمن القبعة الواحدة على خمسة جنيهات . ويمكنك أن تعطينى هذا المبلغ من الجنيهات المائة والخمسين .

ديكى : الواقع ياپين أن السيدة ماك صديقة أكثر مما هى عميلة ، وحالتها المالية ليست حسنة كما ظننت ، وأنا أنوى ألا أطالبها بأجر على مرافقتى لها إلى باريس .

پينيلوپى : (فى حزم شديد) أوه ، لا ياديكى . أنا لا أوافق أبدا ، فإن لديك زوجة يجب أن تفكر فيها . إنك إن تمت غداً تتركنى معوزة . وليس من حقك أن تغلو فى شهامتك ، . ففى هذا ظلم لى .

[ تدخل پيتون بينما يوشك ديكى أن يتكلم ]

پيتون : هناك سيدة تريد أن تلقاك يا سيدى .

ديكى : [ مبهوتاً ] فى هذه الساعة ؟

پيتون : إنها السيدة واطسون يا سيدى .

ديكى : أوه ، نعم ، نعم ، أدخليها . [ تخرج پيتون ]

ديكى : شكراً لله ، فقد جاء عميل وسأحصل على بضعة جنيهات أيا كانت الحال . [ ينظر فى مفكرته ] أربع زيارات . سيكون مجموع الأجر خمسة جنيهات وخمسة شلنات . والله إنى لفى حاجة إليها .

پينيلوپى : ما بها ؟

ديكى : لا أدرى . بيد أنى أتظاهر أنى أعرف علتها . وأغلب الظن أنها لن تلحظ علىّ ذلك .

پينيلوپى : سأتركك . فلابد لى من مخاطبة بعضهم « تليفونياً » .

[ تخرج ، ويروح ديكى ويبدو مغيظاً . وتدخل السيدة واطسون فيتخذ سيماء مهنته ، ويبدو لطيفاً مجاملا للغاية . والسيدة واطسون عجوز قصيرة ترتدى ثوباً أسود ]

ديكى : حسناً يا سيدة واطسون ؟

السيدة واطسون : أرجو ألا يضايقك أنى جئت فى هذه الساعة المتأخرة . فأنا أعلم أنك لا تستقبل أحداً بعد الخامسة ، ولكنى راحلة .

ديكى : يسرنى أن أراك . أؤكد لك ذلك .

السيدة واطسون : سأسافر غداً إلى الريفيرا مع ابنتى .. وقد رأيت أن أزورك مرة أخرى قبل سفرى .

ديكى : بالطبع . وكيف تقدمت حالك ؟

السيدة واطسون : [ راضية كل الرضا ] أوه ، إن حالى لا تتقدم . فأنا لا أتحسن أبداً .

ديكى : أكنت تتناولين الدواء بانتظام ؟

السيدة واطسون : [ بسرور ] نعم . ولكنه لم يفدنى فتيلا .

ديكى : دعينا نفحص رجفة ركبتك ، هل تسمحين ؟

[ تضع السيدة واطسون رجلا على رجل ، ينقر ديكى أسفل ركبتها ، فترتجف رجلها ارتجافاً خفيفاً ]

ديكى : لا بأس .

السيدة واطسون : لقد جرّب معى السير بنيامين برودستيرز كل دواء ، ولكنه لم يتمكن من شفائى . وتوجهت بعد ذلك إلى السير وليم ويلسون ، فأشار علىّ أن أمتنع عن اتباع أى شىء مما أشار به السير بنيامين برود ستيرز . فساءت حالى أكثر .

ديكى : أنت تبدين مبتهجة ابتهاجاً غير مألوف .

السيدة واطسون : إنى ترددت على كل طبيب فى لندن . وقد أجمع الأطباء على أن حالتى غريبة. وأنا أحب أن يفحصنى الأطباء ، وهم يهتمون بى كل الاهتمام . . وكم من ساعات وساعات أنفقوها فى فحصى . ولن أستطيع بحال أن أوفيهم حق العرفان بالجميل على ما غمرونى به من رعاية .

ديكى : جميل منك أن تقولى هذا ، وأظننى سأجرب معك اليوم دواء جديداً .

السيدة واطسون : أوه ، اجعله لطيفاً وقوياً ، أتفعل ذلك يا دكتور ؟

ديكى : يبدو أنك تؤثرين أن يكون دواؤك غنياً بالمواد ؟

السيدة واطسون : أنا أحب تناول الأدوية ، فذلك نوع من العمل يشغلنى . وأنا أعانى الوحدة الآن بعد أن تزوجت ابنتى . ويبدو لى أنى تناولت جميع أنواع الأدوية الموجودة بالصيدليات ، ولكن أحداً منها لم يعد علىّ بأى نفع .

ديكى : [ يناولها تذكرة الدواء ] حسناً . لعل هذا

ينفعك ، وعليك تناوله ثلاث مرات يومياً قبل كل وجبة .

السيدة واطسون : [ تنظر فى التذكرة ] أوه ، ولكنى جربت هذا الدواء من قبل يا دكتور أوفاريل ، فقد وصفه لى سير آرثر توماس منذ بضعة أشهر .

ديكى : حسناً . جربيه مرة ثانية . فلعلك لم تتيحى له فرصة كافية ليحدث أثره .

السيدة واطسون : قرأت فى مجلة «لانسيت» منذ أيام أن طبيباً ألمانياً وجد دواء جديداً يفيد حالات الأعصاب فائدة كبيرة . وأنا واثقة من أن هـــذا بالذات هو الدواء الذى أحتاج إليه .

ديكى : وأى داع يدعوك إلى قراءة مجلة لانسيت ؟

السيدة واطسون : أوه أنا أقرأ دائما كلا من مجلة لانسيت والمجلة الطبية البريطانية ، فقد كان لابد لزوجى المسكين من الاشـــترك فيهما لحاجته إليهما فى مزاولة عمله .

ديكى : ( فاغراً فه ) أتعنين أن زوجك كان طبيباً ؟

السيدة واطسون : أوه ، حسبتنى أخبرتك أنى أرملة طبيب

[ يحاول ديكى أن يتغلب على اضطرابه بينما تواصل السيدة واطسون ثرثرتها ]

السيدة واطسون : أنا لا أستطيع أن أحتمل قط كلمة سوء تقال عن الأطباء . فهم لم ينفعونى بطبهم ولكنهم كانوا غاية فى اللطف معى . ولم ألق معاملة فظة إلامرة واحدة وقد أقدم عليها طبيب نكرة — إن كنت تصدقنى — شرحت له أعراض مرضى كلها ، فسألنى قائلا : أتقبلين على الطعام ياسيدتى ؟ وأجبته نعم ، فأنا أتناول وجبة إفطارى صباحاً ثم قليلا من الحساء فى الساعة الحادية عشرة وأتناول وجبة الغداء ، وفى العصر أتناول دائماً شاياً دسما ، وفى منتصف الساعة الثامنة أتناول عشاء خفيفاً ، ثم أتناول لبنا مع قليل من الخبز قبل رقادى . وعاد يسألنى : أتستطيعين النوم يا سيدتى ؟ فقلت نعم ، أنا أنام جيدا بالنسبة لسنى المتقدمة ، وأنام بانتظام مدة ثمانى ساعات أو تسع ساعات يومياً . ثم سألنى : أتستطيعين المشى يا سيدتى ؟ فأجبته : أوه ، نعم ، فقد وضعت لنفسى قاعدة لا أحيد عنها هى أن أقطع أربعة أميال يومياً سيراً على قدمى . فقال بعدئذ : أرى أنك لاتعانين شيئاً قط . طبت مساء .

ديكى : تصورى ذلك .

السيدة واطسون : حسناً لم يكن منى إلا أن نظرت إليه من أعلى إلى أسفل ، ثم قلت له : ياسيدى ، رأيك هذا لايشاركك فيه سير بنيامين برودستيرز ، أوسير وليم ويلسون ، أو سير آرثر توماس ، ولم أقدم له حتى أجر الكشف الطبى ، واكتفيت بأن انسحبت من الغرفة مرفوعة الرأس .

[ بخبث ] ألن تعطينى تذكرة الدواء الجديد ؟

ديكى : أصدقك القول إنى لاأعتقد أن هذا الدواء هو الذى تحتاجين إليه بالذات .

السيدة واطسون : حسناً جدا . أظن أنك أدرى منى بذلك . والآن ينبغى على ألا أشغل قدراً آخر من وقتك .

ديكى : [ ساخراً ] أوه ، وقتى لاقيمة له . أشكرك

السيدة واطسون : [ محاولة حمله على الجواب ] أتسمح أن تخبرنى عن المبلغ الذى أنا مدينة لك به ؟

ديكى : آه ، بما أنك أرمل طبيب فلا يخطر لى بالطبع أن أقبل منك أجراً .

السيدة واطسون : هذا تفضل منك . ولكن يجب أن تسمح لى بإعطائك هدية صغيرة .

ديكى : [ يضعف نوعاً ما ، ولكن وجهه يشرق قليلا ]
أوه حقاً ، المسألة . . .

السيدة واطسون : لقد ذهبت إلى كل طبيب ذى شأن فى لندن ، ولم يطالبنى واحد منهم بمليم واحد أجراً ، ولكنى اعتدت أن أقدم لكل منهم هدية صغيرة . وأنا لا أجهل أن عليكم معشر الأطباء أن تخرجوا وتتعرضوا لمختلف الأجواء دون أن تتذمروا أبداً . ولذا كنت أهدى كلا منهم لفاعاً من الصوف .

[ تخرج من حقيبتها لفاعاً صوفياً أحمر اللون كبيرا ]

ديكى : [ ساهماً ] أوه ، شكراً جزيلا .

السيدة واطسون : صنعت هذا اللفاع بنفسى .

ديكى : صحيح ؟

السيدة واطسون : ووعدنى سير بنيامين أن يرتدى لفاعه كل شتاء . ستجده مدفئاً جداً .

ديكى : أنا مقدر لجميلك كل التقدير .

السيدة واطسون : والآن وداعاً ، وأشكرك شكراً جزيلا .

ديكى : خير ما تصنعين بعد عودتك من الريفييرا أن تستشيرى الدكتور روجز ، وهو يقطن فى الطرف الآخر من الشارع كما تعلمين .

إنه خير من يستشار فى حالات كحالتك .

السيدة واطسون : شكراً جزيلا .

ديكى : طبت مساء .

[ تخرج ويغلق الباب وراءها ، ويمضى إلى الباب الآخر وينادى صائحاً ]

ديكى : پين ! پين !

صوت پينيلوپى : نعم .

[ طرق على الباب ]

ديكى : [ متضايقاً ] ادخل .

[ تدخل السيدة واطسون ]

السيدة واطسون : كنت أعلم أن هناك أمراً أريد أن أسألك عنه بالذات ، ولكنى كدت أنساه . حظر على سير بنيامين برود ستيرز أن آكل شيئاً غير قطع الخبز « المقمّر » ، ولكن سير وليم ويلسون لا يعتقد أن الخبز المقمّر يفيدنى بحال ، وأن على أن آكل الخبز العادى وحده ، فأى القولين أتبع ؟

ديكى : [ جاداً كأنه يناقش زملاءه فى استشارة ] حسناً ، لو كنت مكانك لأكلت الخبز مقمراً من ناحية واحدة فقط .

السيدة واطسون : شكراً جزيلا . وداعاً . آمل أن يروقك اللفاع .

ديكى : لا شك فى ذلك . طبت مساء .

[ تخرج ثانية ، ويغلق ديكى الباب ورامها ]

ديكى : پين ! پين !

[ تدخل پينيلوپى من الباب الآخر ]

پينيلوپى : ما الأمر ؟

[ يتجه إليها ديكى حاملاً واللفاع فى يده ]

ديكى : انظرى ! هذا هو أجرى ! هذا !

پينيلوپى : إنه لفاع من الصوف .

ديكى : لا تكونى بلهاء يا پينيلوپى ، فأنا أستطيع أن أرى أنه لفاع فى الصوف .

پينيلوپى : ولكن ، ما معنى هذا ؟

ديكى : إنها أرملة طبيب ، فلم أستطع بالطبع أن أطلب أجراً . وقد أخفت عنى ذلك إلى اليوم ... أقول لك شيئاً .. يجب ألا يسمح لأرامل الأطباء أن يعيشوا بعد موت أزواجهن .

پينيلوپى : أوه !

ديكى : عند ما تصبحين أرملة بعد موتى يا پين ، اقطعى شارع « هارلى » ذهاباً من أحد

جانبيه ، ثم إياباً من جانبه الآخر ، واطلبى إلى جميع أطباء الشـــارع أن يفحصوك .

پينيلوپى : ولكن لنفرض أنى غير مريضة ؟

ديكى : سحقاً . فأقل ما تستطيعين إذا فقدتنى أن تستمتعى بصحة معتلة .

[ تدخل پيتون ]

پيتون : معذرة يا سيدى . تسألك السيدة واطسون إن كانت تستطيع لقاءك لمدة دقيقة واحدة .

ديكى : [ مستسلما ] نعم .

[ تخرج پيتون ]

ديكى : ترى ماذا تريد الآن ؟

[ پيتون تقود السيدة واطسون إلى الغرفة ]

السيدة واطسون : قد تظن أنك لن تفرغ منى أبداً .

ديكى : [ بلطف ] لا ، أبدا . لا ، أبدا .

السيدة واطسون : كنت أفكر فيما قلته عن تقمير الخبز من ناحية واحدة . . . ففى أية ناحية أضع الزبد ؟

ديكى : [ واضعاً ذقنه فى يده ] هيم م م . يجب أن تضعى الزبد فوق الناحية المقمرة .

السيدة واطسون : أوه ، شكراً . والآن لم يبق غير سؤال

واحد فقط . أتظن أن قليلا من المربىّ يضرّ بى ؟

ديكى : لا . لا أظن أن قليلا من المربىّ يضر بك . ولكن عليك ألا تضعيها فوق الناحية التى تضعين فوقها الزبد .

السيدة واطسون : أوه ، أشكرك ، طبت مساء ، أنا شاكرة جداً .

ديكى : عفواً ، عفواً .

(تخرج السيدة واطسون)

ديكى : (يهز قبضته متوعداً وراء الباب) ليتك دفنت حية مع زوجك . . . « ستّى »(*) حرق الأرملة عند موت زوجها . . . هذه هى الكلمة بالضبط .

پينيلوپى : ديكى ، ما هذا الذى تقوله ؟

ديكى : ظللت أفكر فى هذه الكلمة مدة عشر دقائق . هذا ما يجب على أرامل الأطباء أن يفعلنه « ستّى » كما يفعل نساء الهنود .

پينيلوپى : أيحرقن أجسادهن أحياء عند موت أزواجهن ؟

---

(*) Suttee

ديكى : أصبت « سنى » . هذه هى الكلمة .

پينيلوپى : ولكنى أكره أن أجمّل جنازتك يا عزيزى بجعل جثتى شعلة للزينة .

ديكى : أوه . أنت لا تحبيننى .

پينيلوپى : أحبك كثيراً . ولكنك تطلب منى الشىء الكثير ، أليس كذلك ؟

ديكى : لا ، فأنت لا تهتمين بى اليوم كما اعتدت أن تهتمى بى من قبل . لقد تغيرت تماماً . وقد لاحظت أشياء كثيرة ...

پينيلوپى : [ ترمقه بنظرة سريعة ، ولكنها تظل محتفظة بدعابتها ] أوه ، هراء .

ديكى : لقد تغيرتِ فى المدة الأخيرة . فأنت لا تنزلين لتوديعى عند خروجى صباحاً ، ولا تسألينى عن موعد رجوعى ، وكانت عادتك أن تجلسى بعد الإفطار على مسند مقعدى وأنا أدخن غليونى ، وأقرأ صحيفتى .

پينيلوثى : لابد أنك كرهت ذلك منى . أليس هذا صحيحاً ؟

ديكى : طبعاً كرهته ، ولكنه كان يدل على أنك كنت مغرمة بى . فلما أمسكتِ عنه أحسست أنى أفتقده .

[ تدخل پيتون أمام السيدة فيرجسون ، ثم تنسحب ]

پيتون : السيدة فيرجسون .

[ ديكى يجفل قليلا ، وتبدو عليه أمارات غيظ طفيفة ، فهو لا يستطيع أن يدرك سبب مجىء السيدة فيرجسون ]

السيدة فيرجسون : أخبرتنى الخادم أنكما هنا ، فطلبت إليها أن تقودنى إليكما مباشرة ، وأرجو ألا يضايقكما ذلك .

پينيلوپى : لا ، بالطبع فنحن يسرنا أن نراك فى أى مكان ، أترغبين فى قدح من الشاى ؟

السيدة فيرجسون : لا ، شكراً . فقد جئت فى الواقع لأستشير الدكتور أوفاريل بوصفه طبيباً .

پينيلوپى : أرجو ألا تكونى مريضة ؟

السيدة فيرجسون : شعرت فى المدة الأخيرة بأنى لست بصحة جيدة ، وخطر لى أن أعرض نفسى على طبيب . [ إلى ديكى ] هل لك أن تتولى علاجى ؟

ديكى : سأبذل لك ما أستطيع .

السيدة فيرجسون : ولكن الزيارة لابد أن تكون زيارة عمل . فأنا أريد أن أدفع عنها أجرا .

پينيلوپى : أوه ، هراء . فلا يخطر ببال ديكى أن يقبل مالا من إحدى صديقاتى .

السيدة فيرجسون : لا . فأنا شديدة التمسك بمبدئى فى هذه المسألة . وفى ظنى أنه قبيح بالناس أن يطلبوا إلى الطبيب علاجهم بدون مقابل .

أنا أصر حقاً على دفع الأجر المعتاد .

ديكى : أوه ، حسنا . سنناقش ذلك فيما بعد

پينيلوپى : سأتركهما وحدهما ، أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : أتسمحين بذلك ياعزيزتى ؟ فأنا أشعر بشئ من المضايقة إذا ناقشت أعراض مرضى أمام شخص ثالث .

پينيلوپى : بالطبع :

السيدة فيرجسون : لن يستغرق الأمر غير خمس دقائق .

پينيلوپى : حذار من أدوية ديكى فهى كريهة جدا .

(تخرج)

ديكى : يؤسفنى أنك موعوكة . لقد كنت أمس بخير .

السيدة فيرجسون : (ضاحكة) أنا أوفر صحة منى فى أى وقت مضى ، أشكرك (ديكى يؤشر بمعنى الشىء) هذه ميزة كونك طبيباً . فمتى أردت أن أنفرد بك استطعت ذلك تحت أنف زوجتك . ألا ترى فى ذلك شيئاً من البراعة منى ؟

ديكى : (بحفاء) براعة فائقة [ تضحك ضحكة قصيرة وتقوم وتخطو فى حذر إلى الباب وتفتحه على غرة ] بربك ماذا تصنعين ؟

السيدة فيرجسون : أردت أن أرى ما إذا كانت پينيلوپى تتسمّع .

ديكى : (بشىء من الحدة) إنها لم تكن تتسمع بالطبع ، فهذا آخر شئ تصنعه .

السيدة فيرجسون : أوه ، ياعزيزى ، لايخرجك ذلك عن طورك . فكم من امرأة تتسمع كما تعلم .

ديكى : أيفعلن ذلك ؟ أنا لم أسعد بلقائهن .

السيدة فيرجسون : هراء .

ديكى : وبعد ، أتخبرينى عن الخدمة التى أستطيع أن أؤديها لك ؟

السيدة فيرجسون : [مداعبة] لن أقول شيئاً قطعاً : مادمت تخاطبنى بمثل هذه اللهجة الجافية ... تستطيع تقبيل يدى (يقبل يدها) هـذا حسن . ألا تزال غاضباً ؟

ديكى : لا

السيدة فيرجسون : أتحبنى كعهدك دائما ؟

ديكى : نعم .

السيدة فيرجسون : لو أنك كففت عن حبى أكنت تصارحنى بذلك ؟

ديكى : لا .

السيدة فيرجسون : يالك من وحش !

ديكى : (فى شىء من الضجر) خبرينى ، أى شئ فى الوجود حملك على المجىء ؟

السيدة فيرجسون : أنت لطيف حقا فى معاملتى اليوم .

ديكى : حسنا ، إننا رتبنا كل شىء عندما فارقتك أمس ، وقد أعطيتك تذكرة السفر ، وكتبت لك ميعاد قيام القطار.

السيدة فيرجسون : حسناً . أولا أردت أن أرى پينيلوپى .

ديكى : لماذا ؟

السيدة فيرجسون : يروّح عنى أن أرى سذاجتها . إنى أشعر بالجذل الشديد عندما أنظر إليها وأرى كيف أنها لاتشك قتيلا فيما يجرى تحت أنفها . إنها أشد من عرفتهم فى حياتى حسن ظن

ديكى : إذا أردت رأيى فاعلمى أن هذا يشعرنى بضيق فظيع .

السيدة فيرجسون : عم تتحدث يا ولدى العزيز المسكين ؟

ديكى : لم يكن الأمر يسوءنى لو أننا اضطررنا لاتخاذ أى احتياط . ولكنها تثق فينا ثقة عمياء ، بل إنها لتعيننا دائما على الاجتماع ، ولا يخطر ببالها قط أن هناك أقل سبب لإساءة الظن . فكأننا الآن نصرع رجلا لايستطيع الدفاع عن نفسه .

السيدة فيرجسون : أهذا يعنى أنك لم تعد تحبنى ؟

ديكى : أنا أحبك بالطبع . يا لله ! لقد كررت لك ذلك حتى احتقن وجهى .

السيدة فيرجسون : أوه ، لا . أنت لم تعد تحبنى ، فالرجال لا تبدأ وساوسهم إلا بعد زوال حبهم للمرأة ( تصدر من ديكى آهة استسلام ، وهذه المشادة ليست الأولى التى اضطر إلى احتمالها ) إنى ضحيت فى سبيلك بكل شىء ، وهأنتذا تهينى اليوم . وعند ما أفكر فى زوجى المسكين الذى يخدم وطنه بشجاعة فى بلد غريب ! .. آه ، إنها لقسوة ، قسوة !

ديكى : ولكنى لم أقل إلا أن سوء معاملتى لبينيلوبى أشعرنى بالخسة .

السيدة فيرجسون : ولكنك لا تفكر فى شعورى . لا يخطر لك كيف أشعر أنا . وماذا تقول فى زوجى ؟

ديكى : حسناً ، لم يحدث أنى عرفت زوجك . أما زوجتى فإنى أعرفها فعلا .

السيدة فيرجسون : لا تكن أحمق . فما من شك أنك تعرف زوجتك .

ديكى : وهذا ما يجعلنى أكره أن أسلك معها سلوك رجل سافل دنىء .

السيدة فيرجسون : لو أنك أحببتنى حقاً لما فكرت فى أى

شيء ، أى شيء ، أى شيء غيرى .

[ تضع منديلها على عينيها ]

ديكى : أوه ، اسمعى . لا تبكى .

السيدة فيرجسون : بل سأبكى . أنا لم أعامل مثل هذه المعاملة من قبل . وإذا كنت لم تعد تحبنى فلماذا لا تصارحنى بذلك ؟

ديكى : نعم ، أنا أحبك . ولكن ...

السيدة فيرجسون : لكن ماذا ؟

ديكى : [ بعصبية ] حسناً — إرر — أظن أنه يحسن بنا أن نؤجل رحلتنا إلى باريس بعض الوقت .

السيدة فيرجسون : [ تلهث غضباً ] أوه ! أو. ! أوه !

ديكى : پينيلوپى تثق ثقة عمياء .

السيدة فيرجسون : لن أكلمك بعد الآن . وددت لو أنى لم أقابلك قط . أوه ، كيف تستطيع أن تهينى هذه الإهانة ! .

[ تأخذ فى النشيج ]

ديكى : أوه يا إلهى ! أوه يا إلهى ! قلت لك لا تبكى . أنا لم أقصد الإساءة إليك . أنا آسف أشد الأسف .

[ يحاول أن يبعد يدها عن وجهها ]

السيدة فيرجسون : لا تمسنى . لا تقتربى منى .

ديكى : سأفعل كل ما تريدين إذا أمسكت عن البكاء . فكرى فيما يكون إذا دخلت علينا پينيلوپى . وأنا لم أكن أهتم إلا بما قد يصيبك من هذه المجازفة . وليس هناك بالطبع شىء أتوق إليه مثل رحلة نقوم بها عبر القنال .

السيدة فيرجسون : أهذا صحيح ؟

ديكى : نعم .

السيدة فيرجسون : أتريد أن آتى معك حقاً ؟

ديكى : أريد ذلك دون شك فيما إذا كنتِ لا تبالين عقبى المجازفة .

السيدة فيرجسون : [ بابتسامة ] أوه ، سأدبر ذلك خير تدبير .

ديكى : لماذا ؟ ماذا ستفعلين ؟

السيدة فيرجسون : انتظر دقيقة أو اثنتين ، وسترى .

[ تستعيد هدوءها كاملا ، وترجع إليها بشاشتها ]

ديكى : نستطيع أن نخبر پينيلوپى بأننا على استعداد لمجيئها .

پينيلوپى : لا بأس . [ وبينما يتجه ديكى إلى الباب ] أوه ، نسيت كلية . إن لى رأساً كالغربال تماماً .

ديكى : ما الأمر ؟

السيدة فيرجسون : حسنا . كدت أنسى الأمر الذى أتيت لأقابلك من أجله بالذات . ولكنك شغلت الوقت كله بالاشتباك معى فى شجار .

ديكى : أأنا اشتبكت فى شجار ؟ لم أنتبه لذلك .

السيدة فيرجسون : أريد أن أطلب إليك شيئاً فهل يغضبك ذلك ؟

ديكى لا أظن ذلك .

السيدة فيرجسون : بالطبع ليس الأمر ذا بال ، ولكن طلبه محرج بعض الشىء .

ديكى : أوه ، هراء ، لاشك أنى سأعمل ماأستطيع .

السيدة فيرجسون : حسنا . لى صديق فى سوق الأوراق المالية أشار علىّ بنصيحة مدهشة ، و ...

ديكى ولم تثمر النصيحـــة . إنى أعرف هذه النصائح المدهشة .

السيدة فيرجسون : أوه ، ولكنها لابد ستعود بالربح . غير أن فروقاً طرأت على السعر يجب سدادها ، وأنا لا أفهم كل هذه المسألة بالضبط ولكن « سولى أبراهام » . . . .

ديكى : ] يقاطعها ] أهذا هو صديقك الذى يعمل فى سوق الأوراق المالية ؟

ديكى : ما الأمر ؟

السيدة فيرجسون : حسنا . كدت أنسى الأمر الذى أتيت لأقابلك من أجله بالذات . ولكنك شغلت الوقت كله بالاشتباك معى فى شجار .

ديكى : أأنا اشتبكت فى شجار ؟ لم أتنبه لذلك .

السيدة فيرجسون : أريد أن أطلب إليك شيئاً فهل يغضبك ذلك ؟

ديكى لا أظن ذلك .

السيدة فيرجسون : بالطبع ليس الأمر ذا بال ، ولكن طلبه محرج بعض الشىء .

ديكى : أوه ، هراء ، لاشك أنى سأعمل ماأستطيع .

السيدة فيرجسون : حسنا . لى صديق فى سوق الأوراق المالية أشار علىّ بنصيحة مدهشة ، و ...

ديكى ولم تثمر النصيحـــة . إنى أعرف هذه النصائح المدهشة .

السيدة فيرجسون : أوه ، ولكنها لابد ستعود بالربح . غير أن فروقاً طرأت على السعر يجب سدادها ، وأنا لا أفهم كل هذه المسألة بالضبط ولكن « سولى أبراهام » . . . .

ديكى : ] يقاطعها ] أهذا هو صديقك الذى يعمل فى سوق الأوراق المالية ؟

السيدة فيرجسون: نعم . ولم السؤال ؟

ديكى : أوه ، لاشىء . اسم اسكوتلاندى قديم طيب .. هذ كل ما فى الأمر .

السيدةفيرجسون : يقول سولى إن علىّ أن أرسل له شيكا بمبلغ مائة وثمانين جنيها .

[ يجفل ديكى قليلا ويبتئس ]

السيدة فيرجسون : وكل ما فى الأمر أنه يصعب علىّ قليلا أن أدفع هذا المبلغ فى الوقت الحاضر ، فدخلى يُدفع لى كل لى ستة أشهر كما تعلم ، وليس لى فى الواقع رصيد فى البنك بمبلغ مائة وخمسين جنيهاً ، وأنا لا أقترض مالا أبداً — فهذا شئ لا أحتمله — وقد شعرت بأن الشخص الوحيد الذى أستطيع أن ألجأ إليه الآن هو أنت .

ديكى : لا ريب أن هذا ظريف منك للغاية ، بل إطراء لى .

السيدة فيرجسون : كنت أعلم أنك ستعطينى المبلغ على الفور ، وسأسدده لك بالطبع من أرباحى.

ديكى : آه ، هذا ظريف منك للغاية ، وسأرى ما أستطيع صنعه .

السيدة فيرجسون : أوسبب لك مضايقة شديدة إذا سألتك

أن تكتب لى الشيك الآن ؟ فهذا يزيح عنى عبئاً يشغل بالى .

ديكى : بالطبع ، وهذا يسرنى سروراً شديداً . وعلى فكرة ، ما اسم تلك الأسهم ؟

[ يجلس إلى مكتبه ، ويحرر الشيك ]

السيدة فيرجسون : أوه ، إنها خاصة بمنجم ذهب ، واسمها جوهانسبرج وأورشليم الجديدة .

ديكى : اسمها يوحى بالثقة . [ يناولها الشيك ]

السيدة فيرجسون : أشكرك جزيل الشكر ، وهذا ظريف منك للغاية . والآن اكتب تذكرة دواء صغيرة حتى يكون ثمة شئ نريه لبينيلوبى .

ديكى : أنت واعية لكل شئ [ يكتب ]

السيدة فيرجسون : لا بد أن أدفع لك أجراً .

ديكى : أوه ، أنا لا أهتم بهذا .

السيدة فيرجسون : ولكنى مصممة . ثم إنه يجعل القصة أقرب إلى التصديق .

[ تنظر فى كيس نقودها ]

السيدة فيرجسون : أوه ، يا لحماقتى ! . لا يوجد فى كيسى إلا قطعة نقود من ذات الشلنين . تُرى ألديك الآن جنيهان ؟

ديكى : أوه ، نعم . أظن ذلك ، وهذا هو كل المبلغ الذى ربحته اليوم .

[ يخرج الجنيهين من جيبه ويعطيهما للسيدة فيرجسون ، فتضعهما على المكتب وتعدهما قطعة النقود ذات الشلنين ]

السيدة فيرجسون : أشكرك . . . هاك الأجر . وهو يبدو أجراً محترماً جداً . يجب أن تدعه هناك حتى تراه پينيلوپى .

ديكى : أأستطيع أن أناديها ؟

السيدة فيرجسون : سأناديها أنا [ تتجه إلى الباب وتنادى ] پينيلوپى لقد انتهينا من الكشف .

ديكى : [ يسمع أصواتاً أعلى الدار ] هالو ، إنه خالنا دالفينبورت .

السيدة فيرجسون : أوه ، لقد قابلته فى المنتزه منذ أيام فتلطف معى كل التلطف ، وسألنى عما إذا كنت من أسرة فيرجسون أوف جلينجرى ولم أعرف ما يعنيه ، ولكنى رددت بالإيجاب ، وبدا أن هذا سره سروراً شديداً .

ديكى : يحسن ألا تخبريه أنك من عامة الشعب وإلا أصيب بنوبة مفاجئة .

السيدة فيرجسون : أوه ، سأخبره أنى من أسرة لاندودنو ، وأظن أن لهذا الاسم وقعاً أبلغ .

ديكى : أنت تتمتعين بما يصح أن يسمى — تأدباً — بأنه قدرة فائقة على الاختراع .

السيدة فيرجسون : أنا لا أدرى شيئاً عن ذلك ، ولكنى امرأة ذات أنوثة ، وهذا هو سبب إعجاب الرجال بى

[ تدخل پينيلوپى وبارلو ]

بارلو : آه ، السيدة فيرجسون ، هذه مفاجأة سارة .

السيدة فيرجسون : أيها الرجل الشقىّ الخبيث . لقد قيل لى إنك سادر فى غيك .

پينيلوپى : أتقصدين خالى دافينپورت

بارلو : [ مغتبطاً ] آه .. آه .. هذه شائعات أيام التلمذة يا سيدة فيرجسون .

السيدة فيرجسون : لو أنى علمت أية سمعة يتداولونها عنك لما سمحت لك أن تحادثنى مدة نصف ساعة فى المنتزه .

بارلو : [ تنتفخ أوداجه ابتهاجاً ] أوه ، يجب ألا تنصتى لكل مايقال . إن الرجل الذى يختلط بالمجتمعات مثلى لابد أن يتعرض

للقيل والقال ، فعالمنا صغير جداً وكثير التقول .

السيدة فيرجسون : كان الدكتور أوفاريل يكتب لى تذكرة دواء ، فأنا لست فى صحة جيدة هذه الأيام .

بارلو : أوه ، يسوءنى جدا أن أسمع ذلك . ولكنك تبدين فى صحة تامة ، وجميلة للغاية .

السيدة فيرجسون : آه أيها الرجل القاسى الشنيع ! كنت أريد أن ترثى لى وتقول لى إننى أبدو مريضة جدا .

بارلو : إذا سمحت لى بزيارتك أعدك أن أرثى لك ، ولكنى أخشى ألا أستطيع أبدا أن أقول لك شيئاً سوى أنك جذابة .

السيدة فيرجسون : هذا ظريف منك للغاية . يجب أن تحضر لزيارتى ساعة رجوعى من باريس .

[ ديكى يفزع ]

پينيلوپى : أترحلين إلى باريس ؟

السيدة فيرجسون : جئت بقصد إخبارك بهذا . إن لى رأساً مثل الغربال حقاً . فالسيدة ماك المسكينة سألتنى إذا كنت أستطيع مرافقتها إلى

باريس . وقد وقع حادث مشئوم ، فإن أم خادمتها ماتت فجأة ، وتريد الابنة المسكينة بالطبع أن تحضر الجنازة ، ولهذا ..

پينيلوپى : سألتك السيدة ماك أن تحل محل خادمتها ؟ . .

السيدة فيرجسون : لمدة يومين فقط بالطبع . والآن أريد أن أعلم يا عزيزتى . . . خبرينى بصراحة ، أيضايقك هذا ؟

پينيلوپى : أنا ؟

السيدة فيرجسون : بعض النساء أطوارهن غريبة للغاية ، وقد ظننت أنك قد لا ترضين عن فكرة سفرى مع الدكتور أوفاريل إلى باريس . وسنعود معاً بالطبع .

پينيلوپى : يا للهراء ! أنا بالطبع فى منتهى السرور ، وسيحلو لديكى أن يجد رفيقاً يصحبه فى رحلته .

السيدة فيرجسون : انتهينا إذن ، فأنا أحب الصراحة كما تعلمين .

بارلو : [ يقع بصره على الجنيهين الشلنين ] أراك تغترف الذهب اغترافاً يا ديكى .

السيدة فيرجسون : أوه ، هذا هو الأجر الذى دفعته . وقد

صممت على أن أدفع أجراً — وأردت على الأخص أن تعلمى أنت بالذات ذلك يا پينيلوپى . فأنا مدققة جداً فى مثل هذه الأمور .

پينيلوپى : أوه ، ولكن ديكى لا يستطيع قبول هذا [إلى ديكى] إنك عجوز شحيح !

ديكى : أؤكد لك أنى أبيت قبول هذا المبلغ .

پينيلوپى : حقاً لا بد لك من استرداد مبلغك يا أدا .

السيدة فيرجسون : [ترفع يدها اعتراضاً] لا ، لا أستطيع أبداً ، فهذا مبدأ من مبادئى .

پينيلوپى : أنا أعلم أن مبادئك سامية ، ولكنى فى الحق لا أحب أن يقبل ديكى أجراً لفحصه أعز صديقة لى .

[تتناول پينيلوپى النقود وتعطيها للسيدة فيرجسون]

السيدة فيرجسون : أوه ، طبعاً ، ما دمت تنظرين إلى الأمر على هذا النحو فأنا لا أدرى ماذا أصنع .

پينيلوپى : ضعى المبلغ فى كيسك ودعى الكلام عن هذا الموضوع .

السيدة فيرجسون: أوه ، هذا ظريف جداً منك .

[تضع المبلغ فى كيسها ويبدو ديكى مبتسماً عند ما يرى نقوده تختفى]

السيدة فيرجسون: والآن لا بد لى من الانصراف بسرعة .

[ تمد يدها إلى بارلو ] طبت مساء . لا تنس أن تأتى لزيارتى ، ولكن اعلم أنى أنتظر منك أن تحدثنى عن كل ما يتعلق براقصة الباليه الصغيرة .

بارلو : [ وقد سره أن تظن به مثل هذه الخلاعة ] لا تطلبى منى أن أفشى الأسرار .

السيدة فيرجسون : [ لبينيلوبى ] طبت مساء يا عزيزتى .

بينيلوبى : ساصحبك إلى الباب .

[ تخرج بينيلوبى والسيدة فيرجسون ]

ديكى : [ متوجهاً إلى التليفون ] لا أعتقد أنك عرفت فى حياتك فتاة من راقصات الباليه .

بارلو : لا ، ولكنه يطيب لسيدات طبقتنا أن يحسبن المرء غارقا إلى ذقنه مع بنات هذه الحرفة .

ديكى : يا سنترال ، رقم ١٢٣٤ ... آه لو علم الناس أن تسع فتيات من كل عشر من فتيات الباليه يعدن كل ليلة إلى أولادهن وأزواجهن القاطنين فى الضواحى ! . . ولكنى أريد محادثة السمسار الذى أعامله تليفونياً ... أهذا أنت يا روبرتسون ؟ قل لى ، أتعرف شيئاً عن منجم باسم

جوهانسبرج وأورشليم الجديدة ؟ مشروع فاشل ؟ هذا ما ظننته . هذا كل ماأردته ، أشكرك . [ يعيد سماعة التليفون إلى موضعها – ويقول لنفسه فى مرارة ] . مائة وثمانون جنيهاً ذهبت أدراج الرياح .

بارلو : اسمع يا ديكى . ما دام لديك الآن شىء من الفراغ ، فقد تستطيع أن تجود على بنصيحة طبية ، ولن أدفع لك أجرا بالطبع .

ديكى : يا إلهى ! لكأن عيادتى مستشفى . ولكن ليس هناك حتى من يعاونى بالتبرعات .

بارلو : المسألة أنى لاحظت أخيراً – أننى لم أعد نحيف القوام كما كنت .

ديكى : لم أكن فى حاجة إلى نظر ثاقب لألاحظ ذلك .

بارلو : أنا لم أطلب منك هذا الرد الذكى يا ديكى ، ولكنى طلبت نصيحتك .

ديكى : لا داعى لأن تشغل بالك برشاقة قوامك وأنت فى هذه السن ! . .

بارلو : أقول لك الحق إنه خيّل لى أنى أحدثت بعض الأثر فى نفس سيدة ظريفة جداً...

ديكى : [ مقاطعاً ] خذ بنصحى وتزوج بها سريعاً قبل أن يتبدد هذا الأثر .

بارلو : السيدة متزوجة ، وإن بدا لك هذا غريباً .

ديكى : لا تتردد إذن وانج بجلدك .

بارلو : ماذا تعنى يا ديكى ؟

ديكى : يا خالى العزيز دافينپورت ، أنا فى سن تسمح بأن أكون مثل ولدك ... إن مغازلة المرأة المتزوجة أكثر التسليات التى اخترعها الإنسان شططاً ، فخذ حذرك ! . هذا كل ما أقوله لك . خذ حذرك !

بارلو : لماذا ؟

ديكى : ستقيّدك من يديك وقدميك ، وتضع طوقاً حول عنقك ، وتقودك أيان سارت ، وستسألك كل يوم عشر مرات عما إذا كنت تحبها حقاً . وستثير ضجة فى كل مرة تحاول مفارقتها لترغمك على البقاء مدة أطول . وفى كل مرة تضع قبعتك على رأسك ستلزمك بتحديد ميعاد زيارتك التالية .

بارلو : ولكن النساء جميعهن يفعلن هذا ، وهو دليل على إعجابهن بك .

ديكى : نعم ، أظن أن النساء جميعاً يفعلن هذا ، ما عدا بين ، فهى لا تهتم أبداً . إنها لا تسألك قط عما إذا كنت تحبها ، ولا تستبقيك أبداً حين تريد الانصراف ، ولا تصر على معرفة كل تحركاتك . وإذا غادرتها لا توجه إليك بحال ذلك السؤال الشيطانى الذى لا مهرب منه : فى أية ساعة ستعود ؟

بارلو : لو أن زوجتى يابنى كانت غير مبالية بى إلى هذا الحد لسألت نفسى عمن يكون الرجل الآخر .

ديكى : بالله ماذا تقصد بذلك ؟

بارلو : يا عزيزى ديكى ، إن من طبع المرأة الغلو فى مطالبها ، فهى إذا أحبتك أصبحت دائماً مصدر إزعاج ... ومصدر إزعاج مبهج كل الإبهاج فى نظرى ، فأنا أحبه .

ديكى : أنت لا تشير إلى أن پينيلوپى ...

بارلو : يا ولدى العزيز ، أنا لم أحضر لأحدثك عن پينيلوپى ، ولكن عن صحتى أنا .

ديكى : [ متضجراً ] أوه ، أنت مصاب بتشحم

مزمن . هذا هو كل ما تكابده .

بارلو : يا إلهى ، هذا يبدو مزعجاً للغاية . وماذا أصنع لعلاجه ؟

ديكى : [ بعنف وسرعة ] دع الخمر والكحول والمسكرات والخبز والزبد واللبن والقشدة والسكر والبطاطس والجزر والقنبيط والبازلاء واللفت والأرز والساغ والطبيوقة والمكرونة والمربى والعسل والمارملاد .

بارلو : ولكن هذا ليس علاجاً بل قتل !

ديكى : [ دون التفات لما قيل ] البس صداراً صوفياً واجر حول المنتزه كل صباح قبل الإفطار . دعنى ألق نظرة على كبدك .

بارلو : ولكن ، يا عزيزى ديكى ...

ديكى : تمدد على هذا المقعد المستطيل ، ولا تثر ضجة بسبب ذلك ، فأنا لن أقتلك .
[ يرقد بارلو على المقعد ] ارفع ركبتيك .

بارلو : [ بينما يتحسس ديكى كبده ] إنها امرأة رائعة باهرة الحسن ... هذا ما لا شك فيه .

ديكى : استرخ تماماً ... من هى المرأة الرائعة الباهرة الحسن ؟

بارلو : السيدة فيرجسون .

[ ديكى يجفل ، ويحدج بارلو بنظرة ، ثم يبتعد فاغر الفم ]

بارلو : ديكى ، ديكى .

[ يغادر المقعد منزعجاً انزعاجاً شديداً ]

بارلو : أكبدى فى حالة سيئة جداً ؟

ديكى : [ شارد الذهن للغاية ] إنها فى حالة شنيعة وكنت أتوقع ذلك .

بارلو : [ بنبرة حزينة ] صارحنى بالحقيقة على الفور يارتشارد .

ديكى : [ فى صبر نافد ] لا تكن حماراً عجوزاً . فإن كبدك سليمة مثل كبدى . وليس بك من شئ إلا أنك تسرف فى الطعام ، ولا تقبل على الرياضة بقدر كاف .

بارلو : [ مداهناً ] يخيل إلىّ أن على الإنسان أن يدفع ثمناً لكونه أشهر آكل خارج بيته فى زمنه .

ديكى : [ يحدجه بنظرة حادة ] أهى السيدة فيرجسون التى تقول عنها إنك أحدثت فى نفسها بعض الأثر ؟

بارلو : [ راضياً عن نفسه كل الرضا ] أنا يا صديقى العزيز آخر من يفشى سر امرأة .

ديكى : آه !

بارلو : أسألك فيما بيننا يا ديكى ، أتظن أن السيدة فيرجسون تجد أن الأمر شاذاً إذا دعوتها إلى تناول الغداء معى فى كارلتون على انفراد ؟

ديكى : شاذاً ! إنها تقفز طرباً للذلك .

بارلو : أتظن أن زوجها يمانع ؟

ديكى : أوه ، لا بأس من زوجها ، فهو ماض فى خدمة وطنه بشجاعة فى بلد أجنبى .

بارلو : هذا دليل على أن لها طبيعة لطيفة ، وإلا لما جاءت إلى پينيلوپى تسألها عما إذا كانت تمانع فى سفركما معاً إلى باريس .

ديكى : نعم ، إن لها طبيعة طريفة .

بارلو : إنك لجرو محظوظ . وددت لو أرحل معها إلى باريس .

ديكى : [ بحرارة ] وددت لك ذلك .

بارلو : ها ، ها . حسناً ، حسنا . لابد لى من الانصراف الآن على عجل فسأتناول طعام العشاء خارج بيتى كالعادة . إن هؤلاء الدوقات الطيبات لا يتركنى وشأنى . طبت مساء .

[ يخرج . ويظل ديكى يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً

مفكرا . وبعد لحظة تطل پينيلوپي برأسها ] .

پينيلوپي : يا عزيزى ، أما آن أن تعد حقيبتك للسفر .

ديكى : ادخلى ولندخن لفافة سويا .

پينيلوپي : سمعاً وطاعة .

[ تتناول سيجارة فيشعلها لها ]

پينيلوپي : أرجو أن تمضى وقتاً ممتعاً فى باريس

[ تجلس ]

ديكى : أنت لا تجلسين أبدا على ذراع مقعدى كما اعتدت أن تفعلى .

پينيلوپي : أخشى أن أكون قد جاوزت مرحلة الشباب ، فأنا أجد أن جلوسى فى مقعد خاص بى يتيح لى راحة أوفر كثيراً .

ديكى : [ يحاول أن يخفى حيرة خفيفة ] ألم تدهشى نوعا ما عندما أخبرتك السيدة فيرجسون أنها ستسافر الليلة إلى باريس

پينيلوپي : أدهشنى !

[ تضحك پينيلوپي ضحكة صغيرة ، وتحاول أن تكتمها ، ولكنها لا تستطيع ، فتنفجر مستسلمة فى جلجلة من الضحك بعد جلجلة . ويلاحظها ديكى بدهشة متزايدة ]

ديكى : أى شىء فى الوجود يضحكك ؟

بينيلوبى : [ممتلئة فى الضحك] يا عزيزى ، لابد أنك تظننى بلهاء . لقد كنت أعلم بالطبع أنكما ستسافران معا .

ديكى : [يلوح بكل الذراع] أنا لاأعرف عم تتحدثين.

بينيلوبى : حاولت أن أغضى الطرف فلا أرى شيئا ولكنك جعلت ذلك شديد الصعوبة .

ديكى : [ معتزماً أن يبدو متشاغلاً] أتتكرمين وتفصحين عن قصدك

بينيلوبى : يا عزيزى ، أنا بالطبع أعرف كل شىء عن الموضوع .

ديكى : أنا عاجز كل العجز عن معرفة قصدك . ما هذا الذى تعرفين كل شىء عنه ؟

بينيلوبى : أعرف كل شىء عنك وعن أدا يا أبله .

ديكى : [ممتلئاً فى التشاجع] بينيلوبى ، أتعنين أنك ترتابين فى أنى ... ؟

بينيلوبى : [بابتسامة حب] يا حبيبى !

ديكى : [يزمجر فجأة] ماذا تعرفين ؟

بينيلوبى : كل شىء .

[يضحك ، وينظر إلى بينيلوبى فى قلق]

بينيلوبى : كنت أجد تسلية كبرى فى مراقبتكما خلال الشهرين الماضيين .

ديكى : تسلية ؟

پينيلوپى : لقد كان فى الحق ممتعاً كأنه مسرحية ؟

ديكى : [ فى حيرة تامة ] أكنت تعلمين طوال الوقت؟

پينيلوپى : يا عزيزى ، ألم تر أنى فعلت كل شىء فى الوجود لأجمعكما معا ؟

ديكى : ولكنى أؤكد لك أن ما تتحدثين عنه ليس فيه كلمة صحيحة .

پينيلوپى : [ مداعبة ] قل الحق يا ديكى !

ديكى : ولكن لماذا ظللت ساكتة لا تتكلمين ؟

پينيلوپى : ظننت أن الكلام إنما يربكك . وأنا لم أقصد أن أقول شيئاً اليوم أيضاً ، ولكنى لم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك عند ما سألتنى عما إذا كنتُ دُهشت ...

ديكى : ألست غاضبة ؟

پينيلوپى : غاضبة ؟ ومم أغضب ؟

ديكى : ألست غَيْرَى ؟

پينيلوپى : غيرى . لا بد أنك تظنى حمقاء .

ديكى : أنظرتِ إلى ما حدث على أنه أمر عادىّ ، وتسلّيت به . وكان ممتعاً كأنه مسرحية .

پينيلوپى : يا عزيزى ، لقد دام زواجنا خمس سنوات . ومن السخف الظن بأن يحدث

شيء بيننا بعد هذه المدة الطويلة .

ديكى : أوه ، أهكذا . أنا لم أنتبه لهذه الحقيقة .

پينيلوپى : المسألة كلها بدت فى نظرى بلا أهمية ، وقد سرنى أن أعتقد أنك سعيد .

ديكى : [ بثور ثائره ] حسناً ، أظن ذلك أمراً شائناً حقاً يا پينيلوپى .

پينيلوپى : أوه ، يا عزيزى ، لا تغال . إنها كانت هفوة لا ضير منها .

ديكى : أنا لا أتحدث عن سلوكى ، ولكن عن سلوكك أنت .

پينيلوپى : سلوكى أنا ؟

ديكى : نعم ، وأنا أسميه سلوكاً فاضحاً .

پينيلوپى : [ فى خيبة أمل تامة ] لقد ظننتُه لبقاً للغاية .

ديكى : حقاً للباقة . لا بد أنك مجردة من كل شعور باللياقة .

پينيلوپى : يا عزيزى ، أنا لم أفعل شيئاً .

ديكى : هذه هى المسألة بالضبط . كان عليك أن تفعلى شيئاً . كان عليك أن تشعلى ثورة... كان عليك أن تثيرى المشاجرات ، وأن تطلبى الطلاق . أما جلوسك ساكنة ،

وتركك الأمور تجرى فى مجراها وكأن شيئاً لم يحدث ، فهو تصرُّف فظيع .

پينيلوپى : أنا جِدّ آسفة . ولو علمت أنك تريدنى أن أثير شجاراً لفعلت دون شك . بيد أن الأمر لم يبد فى الواقع جديراً بإثارة الضجيج حوله .

ديكى : أنا لم أسمع قط بمثل هذا التجرد من العاطفة ، هذا التبلد ... هذه الكلبية .

پينيلوپى : إن إرضاءك عسير .

ديكى : ولكن ألا تدركين أنى عاملتك معاملة شنيعة ؟

پينيلوپى : أوه ، لا . إنك كنت دائماً خير الأزواج وأعقلهم .

ديكى : لا ، لقد كنت زوجاً سيئاً . وإن لى من الرجولة ما يكفى للاعتراف بهذا . وفى نيتى أن أبدأ صفحة جديدة ياپينيلوپى . سأتخلى عن أدا ، وأعدك ألا أراها بعد ذلك أبدا .

پينيلوپى : ياعزيزى ، لماذا تسبب لها شجنا لا داعى له ؟ وهى على أية حال صديقة قديمة لى ، وأظن أن أقل ما أتوقعه منك أن تحسن

معاملتها .

ديكى : أتعنين بهذا أنك تريدين استمرار ما نحن عليه؟

پينيلوپى : إنه ترتيب يوافقنا نحن الثلاثة . فالأمر يسليك ، فإن «أداء» ستجد من يصحبها خارج بيتها ، وأنا أحصل على قدر كبير من الأثواب الجديدة .

ديكى : الأثواب ؟

پينيلوپى : نعم . فقد كنت أوامى قلبى المرجع بملء خزانة ملابسى .

ديكى : أنت تريدين إذن تضحية سعادتنا بأسرها فى سبيل أثوابك ! أوه ، إنى غذوت أفعى بين جوانحى ... لعلى سلكت سلوك وحش ضار ، ولكنى وحق الشيطان أميز بين الصواب والخطأ ، إن عندى إحساسا بالفضيلة .

پينيلوپى : يبدو أنه أزاح إحساسك بالفكاهة وحل محله .

ديكى : أتعلمين أنى عانيت وخز الضمير خلال هذه الأسابيع كلها ؟ كنت أقول لنفسى كل يوم إنى أعاملك معاملة مخجلة . إنى لم أنعم بلحظة سعادة واحدة ، وكأننى كنت راقداً فوق آلة تعذيب .

بينيلوبي : ولكن لا يبدو أن هذا أثر تأثيراً خطيراً فى صحتك .

ديكى : وهأنت ذى كنت تضحكين منى فى سرك طوال الوقت . . . يستحيل أن تستمر هذه الحال .

بينيلوبي : لا أرى فى الحق ما يدعو لعدم استمرارها .

ديكى : لقد أخطأ كل منا فى فهم الآخر . فما أنا بالرجل الذى يحتمل مثل هذا الموقف بغير مبالاة . وقد أخطأت فهمك يابينيلوبي فقد كنت أظن أنك تحبيننى .

بينيلوبي : أنا متيمة بك .

ديكى : هذه طريقة جميلة لطيفة لإظهار ذلك .

بينيلوبي : ما كنت أظنها كذلك .

ديكى : إنك امتهنت كل عاطفة طيبة فى طبيعتى .

بينيلوبي : وماذا تعتزم أن تفعل إذن ؟

ديكى : سأفعل الشئ الوحيد الممكن ، وهو الانفصال عنك .

بينيلوبي : [ تسمع أصواتاً فى الردهة ] ها هما أبى وأمى لقد قالا إنهما سيعودان .

ديكى : ليتهما لايكشفان أبدا مافيك من شر

وقسوة ، وإلا لبعث هذا الكشف بشيخوختهما إلى القبر فى حزن مرير .

بينيلوبى : ولكنهما لا يجهلان من الأمر شيئا ياعزيزى.

ديكى : ماذا ! أليس هناك أحد يجهله ؟

بينيلوبى : إننا كتمناه عن خالى داڤينپورت . فهو رجل عملى ، وليس له إدراك للفكاهة .

[ تدخل پيتون لتعلن قدوم جولايتلى وزوجته ، ثم تخرج ]

پيتون : البروفسور جولايتلى والسيدة جولايتلى .

[ يدخل الزوجان ]

بينيلوبى : [تقبل السيدة جولايتلى] كيف الحال ياأمى... يا أبى ! يريد ديكى أن ينفصل عنى لأنى أرفض الطلاق منه .

جولايتلى : هذا لا يبدو منطقياً جداً .

السيدة جولايتلى : ماذا حدث ؟

بينيلوبى : لم يحدث شىء . وأنا لا أستطيع أن أتبين سبباً يدعو ديكى إلى كل هذا الغضب .

ديكى : [ساخطا] أليس هناك من سبب !

بينيلوبى : أنا لم أرد أن أقول شيئاً عن الأمر ، ولكن ديكى اكتشف أننا كنا على علم بتفاصيل مغامرته الغرامية الصغيرة .

جولايتلى : ما أبعد ماصنعت عن اللياقة ياعزيزتى ! ، إن الرجل يجب أن يُبقى هذه الأمور خافية على زوجته .

ديكى : وهل تعرف الموقف الذى تقفه پينيلوپى من الأمر ؟

جولايتلى : [ فى رقة ] أوه ، ألست تبالغ يا ولدى العزيز فى تقدير إساءتك ؟

ديكى : ليس لى أى عذر فيما ارتكبت .

جولايتلى : كانت المسألة تافهة . ولو أخذتها پينيلوپى مأخذ الجد لدل ذلك على أن روح الفكاهة تعوزها على نحو مؤسف .

ديكى : أتعنى أنك توافقها ؟ ...

جولايتلى : ياصديقى العزيز ، نحن فى القرن العشرين .

ديكى : أوه ! أيتها السيدة جولايتلى ، أنت تنفقين وقتك فى هداية الوثنيين ، فهلا ترين أن أسرتك فى حاجة إلى بعض عنايتك ؟

[ تغمز پينيلوپى السيدة جولايتلى فى خفية عن ديكى لتحملها على مواصلة تمثيل المشهد ]

السيدة جولايتلى : إن دراياتى الطويلة بالشعوب البربرية دلتنى على أن الرجل حيوان مزواج بطبعه .

ديكى : إن رأسى يدور .

السيدة جولايتلى : أعترف أنى شعرت بالفرح إذ سمعت أنها متزوجة فهذا يجعل العلاقة تبدو أدعى إلى الاحترام .

ديكى : يخيل إلىّ أنى الرجل الوحيد المتمسك بالأخلاق هنا .

پينيلوپى : ديكى ، عزيزى ... أنا لم يكن لى قصة غرام مع ذلك الشرطى .

ديكى : ليت ذلك حدث . فعندئذ كنت لا أعاملك بمثل معاملتك .

پينيلوپى : لقد فكرت فى الأمر ، ولكن شاربه لم يعجبنى .

ديكى : لست أجهل أنى أستحق اللوم ، وأنى سلكت سلوك وحش بهيم

پينيلوپى : أوه ، هراء .

ديكى : لا تعارضينى يا پينيلوپى . أنا أخجل من نفسى كل الخجل .

جولايتلى : هونا ، هونا !

ديكى : أكرر القول إنه لا عذر لى .

السيدة جولايتلى : يا للمسكين ، يبدو أنه متأثر جداً من فعلته .

ديكى : إنى لا أجد رجلين تحملانى ، ولكنى أقسم أن لدىّ إحساساً بالفضيلة وأقول لكم

جميعاً إنى ساخط كل السخط ، فأنتم تهدمون أركان المجتمع . وأيا كان ما ارتكبت فإنى أكن لقدسية البيت ، ولكرامة الحياة العائلية احتراماً يفوق ما تكنونه لهما كلكم مجتمعين .

[ يندفع نحو الباب ، ثم يقف ، ويدور ليبز نبضته فى وجوههم ]

ديكى : إحساس بالفضيلة ... هذا هو ما يميزنى عنكم . [ يخرج ويخبط الباب وراءه ]

پينيلوپى : [ بابتسامة ] يا للحبيب المسكين !

جولايتلى : أى شىء دعاك إلى التعجل فى كشف الأمر كله ؟

پينيلوپى : لقد حضرت إلى هنا اليوم ، ورأيت أنه سئم منها غاية السأم .. أمى ، إنك سلكت مسلك بطلة من بطلات القصص .

السيدة جولايتلى : إنى لن أغتفر لنفسى أبدا نطقى بتلك العبارات الشنيعة التى حملتنى على قولها .

پينيلوپى : أوه ، نعم ، ستغتفرين لى ذلك يا أمى . فما هو إلا أن تزيدى صيامك يوماً فى الصوم الكبير القادم ، فهذا يفيد روحك وقوامك على حد سواء .

السيدة جولايتلى : پينيلوپى !

پينيلوپى : [ إلى جولايتل ] شعرت فجأة بأن اللحظة الحاسمة قد حانت .

جولايتلى : حذار .

[ يندفع ديكى إلى الغرفة فى عنف ]

ديكى : خبرينى . ماذا تفعـــل هاتان المرأتان اللعينتان فى الردهة ؟

پينيلوپى : أية امرأتين ؟ أوه ، عرفت . . . [ تتجه إلى الباب ] تفضلا بالدخول لقد جاءتا من قبل فرنسواز الحائكة .

[ تدخل الفتاتان وهما تحملان صناديق قبعات ]

پينيلوپى : لقد قلت لى إنى أستطيع شراء قبعة أو قبعتين لأواسى نفسى عن سفرك إلى باريس .

جولايتلى : هذا ظريف منك يا ديكى . وهو يدل على أنك لست أنانىّ الطبع .

[ تغمز پينيلوپى لأمها مرة أخرى ]

السيدة جولايتلى : أنت لم تسمح لى قط يا تشارلز أن أشترى قبعات كما أشاء .

جولايتلى : وأنا من الناحية الأخرى لم أقم برحلات قصيرة إلى باريس يا عزيزتى دون أن أصحبك .

السيدة جولايتل : بعض النســـاء موفّقات كل التوفيق فى زواجهن .

[ تخرج الفتاتان القبعات خلال ذلك ، وتلبس پينيلوپى قبعة ، وتغتبط اغتباطاً شديداً ]

پينيلوپى : أوه ، أليست رائعة؟ (تنظر إلى القبعة الثانية) أوه ، أوه ! .. أرأيت شيئاً أجمل من هذا ؟ إنك لظريف يا ديكى ، وأنا فرحة جداً لسفرك إلى باريس .

ديكى : [ بعنف ] لن أذهب إلى باريس .

پينيلوپى : ماذا ؟ !

ديكى : اذهبا بهذه القبعات جميعها .

پينيلوپى : ولكن السيدة ماك ؟

ديكى : السيدة ماك تستطيع الذهاب إلى الشيطان .

[ يتناول سماعة التليفون ]

ديكى : هالو ، هالو . چيرارد ١٢٣٤ . أخبر السيدة فيرجسون أن السيدة ماك أصيبت بنكسة ، ولن تستطيع الرحيل إلى باريس الليلة .

نهاية الفصل الثانى

# الفصل الثالث

## المنظر

مخدع پينيلوپى ، وهو غرفة جذابة ، مكسوة الأثاث بقماش زاهى الألوان ، وبهيجة بما فيها من أزهار الخريف وباقات الأوراق العريضة . وهناك مرآة كبيرة . وهى غرفة جديرة بالعيش فيها ، وفى الغرفة هنا وهناك كتب ومجلات ، وصور فوتوغرافية لديكى تمثله فى كل وضع متصور .

وتقف پينيلوپى وحدها وسط الغرفة وهى فى ثوب فتان ، وتنظر فى المرآة ، وتدور مبتسمة عن رضا ، وتصلح من شأنها ، وترى فجأة شيئاً لا ترتاح إليه تماماً ، فتقطب قليلا ، وتلوى وجهها سخرية ، وتنحنى فى تأنق ووقار ، ثم ترسل لنفسها قبلة فى جذل .

[ تدخل بيتون ويتبعها جولايفل وزوجته ]

بيتون : البروفسور والسيدة جولايتلى .

پينيلوپى : [تبسط ذراعيها] أوه ، يا أمى التقية !

السيدة جولايتلى : [مبهورة الأنفاس] لم أصعد طوال حياتى سلماً ، بهذا الطول .

پينيلوپى : قلت لبيتون أن تصعد بكما إلى هنا حتى لا يأتى أحد ويضايقنا [وبحركة مسرحية] يا أبى النبيل !

جولايتلى : طفلتى !

السيدة جولايتلى : لا تكونى مضحكة يا پين .

پينيلوپى : اجلسى يا أمى ، واسترجعى أنفاسك لأنى سأقطعها مرة أخرى .

السيدة جولايتلى : لا يبدو أن هناك ما يستحق ذلك .

پينيلوپى : ديكى يعبدنى .

السيدة جولايتلى : أهذا كل ما هنالك ؟

پينيلوپى : ولكنه أعجب الأمور فى الحياة ، وأشدها لذة وإدهاشاً . وأنا الآن فى السماء السابعة لفرط ابتهاجى .

جولايتلى : ولكن ، أقال لك ذلك ؟

پينيلوپى : أوه ، لا . فإننا لم نعد إلى التخاطب حتى الآن .

جولايتلى : آه ، أظنكما تعبرّان عن عواطفكما المتبادلة بالتمثيل الصامت .

پينيلوپى : لقد خرج ليلة أمس عقب انصرافكما مباشرة ولم يعد إلا بعد منتصف الليل . وسمعته يقف أمام باب غرفتى ، فدسست نفسى بين أغطية فراشى ، وتظاهرت باستغراق فى النوم ، ولكنى تركت يدى تتدلى فى إهمال إلى جانب سريرى . وبعد ذلك دق الباب دقة خفيفة ، ولما لم أجب دخل الغرفة ، وأقبل على أطراف أصابع قدميه ، ونظر إلى كأنه — كأنه يود لو يلتهمنى .

جولايتلى : پينيلوپى ، أنت تشطحين فى الخيال . فكيف بالله تستطيعين معرفة ذلك ؟

پينيلوپى : [ تضع أصبعها خلف رأسها ] رأيتـــه من مؤخرة رأسى — من هنا . ثم انحنى واكتفى بأن لمس يدى بشفتيه [ تبدى يدها لجولايتلى ] أنظر ، هنا قبلها ، بين الراحة والأصابع بالضبط .

جولايتلى : [ ينظر فى يدها بجد ] يبدو أن القبلة لم تترك أثراً .

بينيلوبي : لا تكن ساذجاً — ثم زحف فى هدوء إلى خارج الغرفة ثانية ، واستغرقتُ فى أول نعاس عميق حقاً نعمت به منذ شهر . وقد تناولت طعام الإفطار صباح اليوم فى فراشى ، وعند ما غادرت الفراش كان ديكى قد خرج .

السيدة جولايتلى : ألم تريه اليوم قط ؟

بينيلوبي : لا ، فهو لم يحضر لتناول الغداء .

السيدة جولايتلى : أنا شاكرة يا تشارلز لأنك لم تظهر لى حبك بابتعادك عنى بصورة منظمة .

بينيلوبي : ولكن الأمر فى غاية البساطة يا عزيزتى . إنه بالطبع غاضب جداً ، فقد أشعرته بأنه شديد البلاهة ، وهو يمقت ذلك . ولكن يا إلهى ! إننى الآن ، بعد عشرتى له خمس سنوات ، أعرف كيف أعامله بعد أن جرحت كبرياءه ولم يبق إلا أن أتيح له فرصة لإنقاذ ماء وجهه ، ثم يرتمى كل منا فى حضن الآخر ، ونعيش بعد ذلك سعداء إلى ما شاء الله .

[ يسحب جولايتلى ورقة من فوق منضدة كان

يجلس قريباً منها ، ويأخذ فى الكتابة على الفور وهو يتأمل ]

السيدة جولايتلى : ولكن ، لا تضيعى الوقت النفيس يا عزيزتى ، وصليه دون إبطاء .

بينيلوبى : لا ، أنا أوفر حكمة من أن أقدم على ذلك . إنى لن أقدم على شىء حتى أراه قد تخلص من أدا فيرجسون كلية .

السيدة جولايتلى : ألم تريها أخيراً ؟

بينيلوبى : لا ، ولكنى أتوقع حضورها فى أية لحظة

السيدة جولايتلى : [ بشهقة ] حضورها هنا ؟

بينيلوبى : حادثتنى الليلة الماضية تليفونياً فى صوت عميق كهذا [ تحاكى نبرات صوت الرجل ] حتى لا أعرف أنها المتكلمة ، وسألت عما إذا كان ديكى موجوداً فى المنزل ، وأجبتها بأنه غير موجود . فقالت [ تحاكى صوت الرجل من جديد ] أتسمحين أن تسأليه على أثر وصوله أن يتصل بالسيدة ماك تليفونياً ؟ . فقلت أوه ! أظنه عند السيدة ماك يقضى المساء كله . وأنهيت المحادثة بسرعة . وفى هذا الصباح رفعت سماعة التليفون ، وتركتها مرفوعة ،

وأحسب أن «أداء» لا بد أن تكون الآن فى حالة عصبية شديدة .

[ يقع نظرها على جولايتل فتتجه إليه لترى ما يكتب ]

پينيلوپى : [ تضرب المنضدة براحتها فى حدة ] ١ + ١ لا يساوى ثلاثة يا أبى .

جولايتل : أنا لم أقل ذلك قط يا عزيزتى .

پينيلوپى : لماذا إذن تكتبها كذلك ؟

جولايتل : لأنه يبدو لى أنك تعتقدين ذلك ، وأنا أقدر فطنتك أكبر تقدير .

پينيلوپى : ليتك اخترت أباً لأولادك لا يغيظ الناس هذه الإغاظة يا أمى ، إن كان وجوده ضرورة فى نظرك .

[ جولايتل لا يجيب جواباً ، ويجمع ١+١ فى هدوء ، وتظل پينيلوپى تلاحظه برهة ]

پينيلوپى : أتظننى بلهاء للغاية يا أبتى ؟

جولايتل : نعم يا عزيزتى .

پينيلوپى : لماذا ؟

جولايتل : أنت تُعدين لديكى من جديد أكلة فراولة مثلجة لا تتغير .

[ تذهب پينيلوپى إلى أبيها ، وتجلس تجاهه ، وتأخذ القلم من يده ]

بينيلوبي : دع هذا القلم يا أبي ، وخبرني ماذا تعني

جولايتلي : [ يضم يديه ، ويميل بمقعده إلى الخلف ] كيف ستحتفظين بحب زوجك بعد أن استعدته الآن ؟

بينيلوبي : [ بإيماءة وابتسامة ] لن أضايقه قط بإظهار دلائل الحب ، ولن أسأله أبداً عما إذا كان يحبني ، ولن أسأله قط عن موعد رجوعه كلما خرج .

جولايتلي : [ في هدوء ] وماذا ستصنعين فيما إذا ارتمت عليه الأرملة الغضة الحسناء التالية ؟

بينيلوبي : [ أقرب إلى الثورة لمجرد الفكرة ] آمل أن يخفض رأسه ويتفاداها .

جولايتلي : [ يهز كتفيه بقصد الاعتذار ] أخبرتك أمك ، استناداً إلى معرفتها المنقطعة النظير بالشعوب الوثنية ، أن الرجل حيوان مزواج بطبعه .

السيدة جولايتلي : لن أغتفر لنفسي ذلك قط .

بينيلوبي : أتعني أنك تتوقع من ديكي أن يغازل ، نصف دستة ، من نساء مختلفات ؟

جولايتلي : لست أرى إلا وسيلة واحدة لتفادي ذلك.

بينيلوبي : وما هي ؟

جولايتلى : كونى أنت نصف دستة من نساء مختلفات .

پينيلوپى : هذا يبدو مرهقاً جداً .

جولايتلى : لا تنسى أن الرجل صياد بطبعه ، ولكن كيف يستطيع الفرار إذا كنت ترتمين طوال الوقت فى حضنه ؟ فحتى الدجاجة تسمح لأليفها الشرعى بمبارحتها ليتزود .

[ تنقل پينيلوپى نظرها من أبيها إلى أمها ، وتطلق زفرة قصيرة ]

پينيلوپى : كم كان من السهل علىّ أن أحبه وأجله وأطيعه ! وكم كان ذلك ممتعاً ! ولكن لم يخطر ببالى أنه كان على مراقبة مشاعرى .

جولاتيل : كلنا نجاهد فى سبيل السعادة ، ولكن ماذا تكون السعادة لو أنها تشبثت بنا تشبث أحد أقربائنا الفقراء ؟

پينيلوپى : [ تومىء برأسها ] فراولة مثلجة للإفطار ، فراولة مثلجة للغداء ، وفراولة مثلجة مع الشاى .

جولايتلى : لو أنك علقت بالحائط لوحة للرسام رامبرانت لمررت بها بعد أسبوع واحد دون أن تلتفتى إليها .

بينيلوبى : [ تمد يديها متوسلة ] أبى ، لا تحطمنى باستعاراتك .

جولايتلى : [ بابتسامة ] حسناً ، إنك أرخصت حبك حتى جعلته زهيداً جداً يا عزيزتى ، كان عليك أن تدعى زوجك يستجديك الحب ، ولكنك جعلت من حبك سلعة بائرة . احرصى على ثروتك ولا توزعيها إلا بمقدار ، واجعلى من نفسك حصناً يجب أن يقتحمه زوجك كل يوم من جديد . وإياك أن تدعيه يحسب أنه استأثر بقلبك كله ، إذ يجب أن يظن دائماً أن فى قرارة نفسك جوهرة باهظة الثمن فوق متناوله .

بينيلوبى : أتعنى بذلك أن أظل دائمة الحيطة ؟

جولايتلى : المرأة الحكيمة لا تمكن زوجها قط من أن يطمئن إليها كل الاطمئنان . ففى اللحظة التى يبلغ فيها هذا الاطمئنان الكامل يلبس كيوبيد قبعة عالية ، وينقلب إلى حارس كنيسة .

بينيلوبى : [ بصوت أجش ] أتظن الأمر يساوى كل هذا العناء ؟

جولايتل : هذا سؤال لا يستطيع غيرك الإجابة عليه .

بينيلوپى : أحسبك تعنى أن الأمر يتوقف على مقدار حبى لديكى . [ تتوقف فترة ، وتستأنف القول بصوت مرتعش ] إنى أحبه من صميم قلبى ، وإذا كنت أستطيع الاحتفاظ بحبه فلا شىء يغلو فى تلك السبيل . [ تريح وجهها فوق يديها ، وتشخص ببصرها إلى أمام ، ويمتلىء صوتها دموعاً ] ولكن لم لا نستطيع يا أبى أن نعيد سيرتنا الأولى عند ما كان كل منا يهوى صاحبه دون تفكر فى حكمة أو تبصر ؟ ذلك كان الحب الحقيقى ، فلم لم يدم ؟

جولايتل : [ بحنان ] لأنك لست أنت وديكى إلا زوجة وزوجة يا عزيزتى .

بينيلوپى : [ تعاودها ومضة من تفكيرها القديم ] ولكن لصديقاتى أزواجاً ، وهم لا يغازلون كل امرأة جميلة يصادفونها .

جولايتل : ما أشبه هؤلاء بـ « سيليا » و« شاريبديس » والضريبة التى يؤدونها هى الشبع . فهل تفضلين مكابدة ذلك الفتور الهادىء الذى يكابده كل تسعة أزواج من عشرة ، أم

بقاء ديكى محباً لك حباً حاراً إلى آخر أيامه نظير بذلك قليلا من التعب ، وقليلا من الفطنة ؟

بينيلوبى : [ بغمزة خبيثة ] ولكن لا يبدو عليك أنت وأمى دليل على أن كلا منكما قد سئم صاحبه وضاق به ذرعاً .

جولايتلى : أمك التقية ظلت تحونى بانتظام طوال عشرين عاما .

السيدة جولايتلى : تشارلز !

جولايتلى : كانت لها قصة حب مع « جمعية الكهنة الإضافيين » ، ومغامرة مع « إرسالية الكنيسة الإنجليزية » ، وقد غازلت « جمعية العلم المسيحية » ، وكانت تغمز بعينها « للعلاج بالأدوية المجانية للمرضى » ، وارتبطت « بالنباتية » ارتباطاً ترك فى وجهها أثراً واضحاً ، فكيف أعشق امرأة على مثل هذا الغىّ ؟

السيدة جولايتلى : [ مداعبة ] إنها لكبيرة منك يا تشارلز أن تؤنبنى بينما ظللت أنت سنوات عديدة ولك « حريم » من الرموز الجبرية .

بينيلوبى : [ ترفع يديها فى اشمئزاز مفتعل ] وأنا التى لم

أدرك أبداً مبلغ ماعليه أبواى من فساد !

جولايتلى : [ يربت على يد زوجته ] أظن أننا لا بد أن نكون الزوجين السعيدين يا عزيزتى ، فقد مضى على زواجنا عشرون عاماً . .

پينيلوپى : [ تقاطعه ] اجعل المدة ربع قرن يا أبى ، فلا يمكن أن أبدو أقل من بنت أربعة وعشرين عاماً .

جولايتلى : [ لزوجته ] ويبدو أننا عشنا سوياً على وفاق ، أليس كذلك ؟

السيدة جولايتلى : [ بحنان ] كنت لى زوجاً طيباً يا عزيزى تشارلز .

جولايتلى : لقد صعدنا فى الجبل معاً . .

پينيلوپى : شش ! شش ! شش ! لا أستطيع أن أسمح لأبوىّ أن يتغازلا فى حضورى . إنى لم أسمع بمثل هذا قط .

جولايتلى : نقدم اعتذارنا .

پينيلوپى : [ تسمع صوتاً ] اسمع . إنه ديكى . يا أبى — قل لى بسرعة ماذا يجب أن أصنع لأحمله على حبى دائماً ؟

جولايتلى : باختصار . نغصى عليه حياته .

پينيلوپى : [ متحسرة ] آه لو تعلم كم أود أن أرتمى

فى أحضانه وأنسى الماضى التعس !

جولايتلى : لا تفعلى ذلك ، ولكن أخبريه أنك ستقومين برحلة فى سيارة .

پينيلوپى : [ مبتسمة ] لنفرض أنه تركنى أرحل ؟

جولايتلى : يا عزيزتى إن الأقدار الرحيمة منحتك عينين خبيثتين ، ولساناً حاداً ، فاستعمليها.

السيدة جولايتلى : تشارلز ، سأحمد الله يوم تعود إلى رياضياتك . فإن أخلاق هذه الفاجرة « س » بلغت من السوء مبلغاً لا تستطيع أن تزيده .

پينيلوپى : الواقع يا أبى أن لك — بوصفك مرشداً للشباب — آراء متقدمة نوعاً .

جولايتلى : [ بحركة مسرحية غريبة ] أيتها الطفلة الناكرة للجميل ! ! وأنا الذى وهبتك قلبى ، كالبجع ، لتتغذى عليه .

[ يدخل ديكى ، وقد بدا عليه شىء من الارتباك وعدم الاطمئنان ]

ديكى : أأستطيع الدخول ؟

پينيلوپى : نعم ، تفضل ! .

ديكى : [ ينحنى برأسه لجولايتلى ] كيف حالك ؟

جولايتلى : [ لزوجته ] أ أنت مستعدة للانصراف ؟

السيدة جولايتلى : [ تهم بالوقوف ] نعم .

ديكى : أرجو ألا أكون السبب فى انصرافكم .

جولايتلى : أوه ، لا . فإننا جئنا لنمكث عشر دقائق فقط حتى نودع بينيلوپى .

[ يلقى ديكى على پينيلوپى نظرة سريعة وقد حيره هذا القول نوعاً ]

ديكى : أأنت . . . ؟ [ ويتوقف عن الكلام ]

جولايتلى : أرجو يا عزيزتى أن تستمتعى بالرحلة .

پينيلوپى : أوه ، أنا واثقة من ذلك .

السيدة جولايتلى : وداعاً يا عزيزتى .

پينيلوپى : [ تقبل أمها ] وداعاً .

[ تتجه إلى الجرس وتدقه ]

جولايتلى : نستطيع أن نجد طريق الخروج وحدنا ، فلا تهتمى باستدعاء بيتون .

پينيلوپى : أريد محادثتها .

جولايتلى : أوه ، فهمت [ يحنى رأسه لديكى ] وداعاً .

[ يخرج جولايتلى وزوجته . وتضطجع پينيلوپى على المقعد المستطيل وهى تبتسم ابتسامة خفيفة ، وتتناول إحدى المجلات ، ولا تعير ديكى التفاتاً ، فيحدجها بنظرة جانبية ، ويسوى ربطة عنقه فى المرآة . تدخل بيتون ]

پينيلوپى : [ رافعة نظرها عن المجلة ] بيتون ،

تستطيعين أن تضعى لى بعض حاجيات السفر فى حقيبة الدكتور المفرطحة الصغيرة وضعى كذلك ثوبى الشرميز الأخضر .

بيتون : حسناً يا سيدتى .

پينيلوپى : وتستطيعين استدعاء عربة بعد نصف ساعة .

بيتون : حسنا يا سيدتى . [تخرج]

ديكى : أأنت راحلة ؟

پينيلوپى : أوه ، نعم . ألم أخبرك بذلك ؟

ديكى : [بجفاء] لا .

پينيلوپى : ما أغبانى ! المسألة أنى كنت أتوقع قضاء يومين أو ثلاثة أيام فى باريس مع أدا ، فرتبت القيام برحلة مع أسرة هندرسون إلى كورنوول .

ديكى : ولكنى عدلت عن رحلة باريس لئلا أضايقك .

پينيلوپى : [مبتسمة] ما كانت رحلتك لتضايقنى قط يا حبيبى .

ديكى : كان يجب أن تضايقك .

پينيلوپى : أخشى على أية حال ألا أستطيع التخلى عن ارتباطى بأسرة هندرسون . . فقد

كونوا فريقاً صغيراً لنستطيع أن نلعب البريدج فى سهراتنا .

[ يتوجه ديكى إلى پين ويجلس على المقعد المستطيل بجوارها ]

ديكى : اسمعى يا پين ، دعينا نصطلح .

پينيلوپى : [ بلطف زائد ] ولكننا لم نتشاحن ، أليس كذلك ؟

ديكى : [ بابتسامة ] لست أدرى أأريد أن أهزك أو أضمك !

پينيلوپى : حسناً ، لو كنت مكانك لما فعلت هذا أو ذاك .

ديكى : [ يتناول يديها ] پين . أريد أن أحادثك جدياً .

پينيلوپى : [ تسحب يديها وتنظر إلى ساعة الحائط ] ألديك متسع من الوقت ؟

ديكى : بالله ماذا تقصدين ؟

پينيلوپى : أنت تخرج عادة لزيارة السيدة ماك فى وقت يقارب هذا .

[ ديكى يقف ، ويدرع الغرفة ذهابا وإيابا ]

ديكى : [ مصمما ] السيدة ماك ماتت .

پينيلوپى : [ تقفز من المقعد ] ماتت ! ومتى الجنازة ؟

ديكى : لم يتحدد ميعادها بعد .

بينيلوبى : حسناً ، تستطيع أن ترسل الآن قائمة الحساب لأسرتها .

ديكى : [ متفعلا ] پين ، لم يكن للسيدة ماك وجود قط .

بينيلوبى : [ بابتسامة ] لم يخطر لى يا عزيزى أبداً أنها كانت موجودة .

ديكى : ماذا ! [ تضحك بنيلوبى ساخرة ] أتقصدين أن تقولى إنك كنت تعرفين طوال الوقت أنى اخترعتها ؟

بينيلوبى : إنى رأيت فى اختلاقك عذراً مقبولا لطول غيابك تصرفاً لطيفاً منك .

ديكى : كنت تستغفلينى إذن عند ما اشتريت تلك الأشياء جميعها بزعم أنى أكسب ذلك القدر الكبير من المال .

بينيلوبى : [ يتوقف ] وبعد . . .

[ ينفجر ديكى ضاحكاً ضحكاً عالياً ]

ديكى : اسمعى ، لقد انتصرت علينا . أقسم أنك امرأة لطيفة مدهشة . ولست أعرف أية ميزة رأيتها فى أدا فيرجسون !

بينيلوبى : أوه ، ولكنى أحسبها ظريفة .

ديكى : يا للهراء ! أنت عليمة بأنك لا تحسبينها

كذلك . آه لو تعلمين أية حياة أذاقنى !

پينيلوپى : أظن أنها كانت تسألك غالباً عما إذا كنت تحبها حقيقة ؟

ديكى : عشر مرات فى اليوم الواحد .

پينيلوپى : وهل كانت تسألك عن موعد عودتك بالضبط كلما فارقتها ؟

ديكى : كيف عرفت ذلك ؟

پينيلوپى : حزرت .

ديكى : [ يتجه إليها وكأنه يحاول احتضانها ] آه ، يا پين ، دعينا ننسى ونغتفر ؟

پينيلوپى : [ مبتعدة عن طريقه ] ليس هناك ما نغتفره يا حبيبى .

ديكى : [ يخطو صوبها خطوة ] أظنك تريدينى أن ألعق التراب .. إنى سلكت سلوك وحش سافل ، وآسف على ذلك كل الأسف ، ولن أعود لمثله أبداً .

پينيلوپى : [ تتحاشاه متظاهرة بأنها غير متعمدة ] لعل المسألة لا تستحق هذا العناء .

ديكى : [ يحاول أن يعترضها ] لا تتحدثى عنها .

پينيلوپى : [ تظل بعيدة عن متناوله ] وكنت أتوهم أنك تقضى وقتاً ممتعاً جداً .

ديكى : كنت أشعر شعوراً مؤلماً بتأنيب الضمير .

پينيلوپى : هذا هو ما يمتاز به النساء على الرجال ، فإن ضميرهن لا يؤنبهن إلا يوم يفقدن رشاقتهن ورونقهن .

ديكى : [ بابتسامة ] ولكن ماذا يدعوك إلى الجرى حول الغرفة على هذا النحو المضحك ؟

پينيلوپى : ظننت أننا نلعب لعبة « المس أخيراً »

ديكى : لا تكونى قاسية يا پين . فأنت تدرين أنك تحبيننى ، وأنى أهيم بك هياما . . ولست أستطيع أن أصنع شيئاً فوق ما صنعت .

پينيلوپى : وماذا تريدنى أن أفعل ؟

ديكى : أريد منك تقبيلى ومصالحتى .

پينيلوپى : [ فى لطف بالغ ] أظنك تتعجل بعض الشىء ، أليس كذلك ؟

ديكى : أظن أنك تفكرين فى أدا فيرجسون .

پينيلوپى : أعترف بأنها لم تغب عن خاطرى كلية .

ديكى : حمقاً لأدا فيرجسون !

پينيلوپى : أظن أن فى هذا العقاب شيئاً من العنف ، فهى على أية حال لم تفعل شيئاً إلا إذعانها لفتنتك التى لا مهرب منها .

ديكى : حسناً ، ألقى بعبء اللوم كله على أكتافى .

وكأن الرجال هم الذين يجرون وراء النساء في تلك المناسبات ! أنا لا أريد أن أراها ثانية .

بينيلوبي : كم أنت متقلب !

ديكي : [ يتجه صوبها بلهفة ] أنا لن أتقلب ثانية . لقد تلقنت درسي . وسأكون مستقيما في المستقبل .

بينيلوبي : [ تضع كرسيا بينها وبينه ] ألا تظن أن من الأفضل ، على أية حال ، أن تتخلص من حبك القديم قبل البدء بحبك الجديد؟

ديكي : نعم ، ولكن يمكنك أن تعاونيني .

بينيلوبي : لا أحسبك تريدني مثلا أن أخبر أدا فيرجسون أنك لم تعد تحبها ؟

ديكي : إنه لمحرج للمرء جداً أن يقول شيئاً كهذا بنفسه .

بينيلوبي : أستطيع أن أدرك أنّ أحداً النساء طبعاً تقابل ذلك بشيء من الاستياء .

ديكي : اسمعي ، ألا تستطيعين أن تشيري بشيء لتنشليني من هذه الورطة ؟

بينيلوبي : [ وهي تهز كتفيها ] يا عزيزي ، ليس

هناك منذ أيام « أريادنى »[1] غير طريقة مرضية واحدة لمواساة الغادة المهجورة .

ديكى : [ وهو يقفز ] خالنا دافينبورت !

پينيلوپى : ما خالى دافينبورت ؟

ديكى : أخبرنى أمس أنه يراها امرأة رائعة جداً .

پينيلوپى : أوه ، لا يا ديكى . أنا لا أسمح لك بتضحية خالى الوحيد .

ديكى : سأطلبه على التليفون وأخبره بأنها لم تسافر إلى باريس .

پينيلوپى : لا يا ديكى . لا يا ديكى . لا يا ديكى !

ديكى : [ عند التليفون ] ميبفير ٧٥٢١ . أعدك أنه لن يمسه أذى ، إذ سنخبره قبل أن ينقلب الأمر جداً بأنها ليست من أسرة جونز أوف لاندودنو ولكنها من أسرة جونز أوف نوتنج هيل جيت .

پينيلوپى : [ بضحكة ساخرة ] لا أظن ما تفعله تصرفاً لطيفاً .

ديكى : أظن أنه شنيع ، وسألوم نفسى عليه كثيراً بعد ذلك .

---

(١) ابنة مينوس ملك كريت .

بينيلوبي : يوازع من إحساسك بالفضيلة أيضاً .

ديكي : هالو ، أأستطيع مخاطبة مستر بارلو ؟ أهو أنت يا خالى دالينهورت ؟ لا ، أنا لم أذهب إلى باريس رغم اتفاق السابق [ بغمزة عين لبينيلوبي ] أصيبت السيدة مالك بنكسة مفاجئة ، ولم يعد نقلها ممكناً . لا ، كذلك السيدة فيرجسون لم تسافر . [ تدخل بيتون ]

بيتون : السيدة فيرجسون فى غرفة الاستقبال يا سيدتى .

ديكي : [ يتحدث بصوت منخفض فى التليفون ] ماذا ! . . . نصف دقيقة . . . لا تقطع المكالمة .

بينيلوبي : كنت أتوقع حضورها طوال بعد الظهر ، أطلبي إليها أن تصعد إلى هنا إذا لم تجد مانعاً .

بيتون : سمعاً وطاعة يا سيدتى .

ديكي : لا بد مما ليس منه بد [ فى التليفون ] هالو لماذا لا تأتى إلينا ؟ السيدة فيرجسون عند بين فى زيارة ، وتستطيع بذلك أن تتفق معها على تناولكما الغداء معاً . . . حسنا . إلى اللقاء . . . اسمعى ، سأهرب الآن .

پينيلوپى : يا جبان !

ديكى : [ يتظاهر بعزة النفس الشديدة ] أنا لست جباناً يا پينيلوپى . سأعود بعد دقيقتين . ولكنى ظمآن ، وسأتناول كأساً من البراندى مع الصودا .

ديكى : حقاً لهذا كله . لا داعى لأن تضنى علىّ بقبلة واحدة .

پينيلوپى : [ مبتسمة ] انتظر حتى تتخلص من حبك القديم يا صديقى .

ديكى : أظن أن الأمر يتجاوز الحد قليلا عند ما يمنع الرجل من تقبيل زوجته الحبيبة .

پينيلوپى : ستقبلنى فيما بعد ، إذا حسن مسلكك .

ديكى : ها هى ذى توشك أن تحضر ، من حسن الحظ أن يكون لهذه الغرفة بابان !

[ يخرج . وتنهض پينيلوپى ، وتتطلع فى المرآة ، وترتب خصلة شاردة من شعرها ، وترش بعض البودرة على أنفها . تدخل أدا فيرجسون ]

پينيلوپى : [ تقبلها فى حرارة ] يا أعز الأعزاء . . أرجو ألا يكون الصعود بك إلى هنا قد ساءك .

السيدة فيرجسون : لا بالطبع . فأنا أحب هذه الغرفة ، وكنت أعتقد دائماً أنها هى المكان الذى

يصلح بالضبط لحديث القلب للقلب .

پينيلوپى : ما ألطف هندامك !

السيدة فيرجسون : أيروقك ثوبى ؟

پينيلوپى : كنت أرى دائماً أنه يلائمك كل الملاءمة .

السيدة فيرجسون : [ بمرارة ] أنا ألبسه لأول مرة .

پينيلوپى : أوه ، أظن إذن أنى رأيت أناساً آخرين يرتدون أمثاله .

السيدة فيرجسون : لعلك ترين أنى أكثر من المجىء هنا يا عزيزتى .

پينيلوپى : أنت تعلمين أنى وديكى نسر دائماً بلقياك

السيدة فيرجسون : هل الدكتور أوفاريل موجود ؟ أردت أن أسأله عن شىء خاص بالدواء الذى وصفه لى أمس .

پينيلوپى : والآن لا تقولى إنك حضرت لرؤية ديكى فقد كنت آمل أن حضورك كان لرؤيتى .

السيدة فيرجسون : أردت أن أضرب عصفورين بحجر واحد

پينيلوپى : هذه رمية محكمة يرتاح لها المرء دائماً .

السيدة فيرجسون : نسيت ما إذا كنت قد قلت لى إن الدكتور أوفاريل موجود .

پينيلوپى : اسمعى ، أظنك الشخص الوحيد الذى

لم يناده باسم ديكى بعد أن عرفه لمدة عشر دقائق فقط .

السيدة فيرجسون : إذا ناديته بهذا الاسم فقدت ثقتى فيه بحسبانه طبيباً .

پينيلوپى : أنا نفسى لا أتداوى عنده ، بل أذهب دائماً إلى الدكتور روجزر .

السيدة فيرجسون : ولكنك تبدين كأنك فى صحة موفورة يا عزيزتى .

پينيلوپى : أوه ، أنا إنما ألح بالجهد و أن أقف على رجلى توفيراً لنفقات الجنازة .

السيدة فيرجسون : هل الدكتور أوفاريل بصحة جيدة ؟

پينيلوپى : متعب .

السيدة فيرجسون : [ حائرة فى السبب ] أوه ؟

[ فترة صمت قصيرة ]

السيدة فيرجسون : أظن أنه ليست لديك أية فكرة عن موعد عودته ؟

پينيلوپى : لم أكن أعلم أنه خرج .

السيدة فيرجسون : أوه ، أستميحك عذراً . ظننتك قلت إنه غير موجود .

پينيلوپى : لا .

السيدة فيرجسون : لا بد أنى أسأت فهم كلامك .

بينيلوبى : أظنه يرقد الآن . ولا غرابة فقد ظل ليلة أمس مع السيدة ماك المسكينة حتى الساعة الثانية عشر .

السيدة فيرجسون : [ برجفة خفيفة ] أكان هناك ؟

بينيلوبى : من المؤسف أن تصاب بنكسة بعد أن بدا أن صحتها تحسنت كل التحسن .

السيدة فيرجسون : [ حائرة ، ولكنها تحاول إخفاء حيرتها ] لا أستطيع التعبير عن حزنى لهذا الخبر .

بينيلوبى : ولا بد أن الأمر ضايقك كل المضايقة بعد أن أعددت كل شىء للسفر إلى باريس .

السيدة فيرجسون : أوه ، أنا لم أفكر بالطبع فى راحتى قط .

بينيلوبى : يقول ديكى إن طريقة تمريضك لها لا يوفيها المديح حقها .

السيدة فيرجسون : أظن أن من واجبنا فى هذه الحياة أن يعاون بعضنا بعضاً على قدر إمكانه وأنا لم أقم إلا بواجبى .

بينيلوبى : قليل منا من يفعل ذلك .

السيدة فيرجسون : عند ما أذكر أن زوجى يخدم وطنه بشجاعة فى بلد غريب أشعر بأن من

واجبي القيام بكل ما أستطيع لمساعدة الآخرين .

[ پينيلوپي تدمر لنفسها متأملة ]

پينيلوپي : أكنت هناك عند ما انتهى الأمر ؟

السيدة فيرجسون : [دهشة] أى أمر ؟

پينيلوپي : أتعنين أنك لا تعرفين ما حدث ؟

السيدة فيرجسون : پينيلوپي ، ليست لدى أية فكرة عما تقصدين .

پينيلوپي : ولكن ديك قضى عند السيدة ماك هذا الصباح بطوله .

السيدة فيرجسون : هذا غير معقول .

پينيلوپي : يدهشنى أنهم لم يستدعوك .

السيدة فيرجسون : ولكن . . .

[ تتوقف عن الكلام غضباً ودهشة ]

پينيلوپي : أنت إذن لا تعرفين حقاً ؟

السيدة فيرجسون : [ بيأس ] أنا لا أعرف شيئاً .

پينيلوپي : يا عزيزتى أدا المسكينة ، يربكنى أن أضطر إلى أن أصدمك هـذه الصدمة المريرة كل المرارة . السيدة ماك ـ ماتت

السيدة فيرجسون : ماتت !

پينيلوپي : نعم ماتت بين ذراعى ديكى ، شاكرة له كل ما بذل فى سبيلها .

السيدة فيرجسون : مستحيل !

بينيلوپى : لا يدهشنى أن تقولى ذلك ، فقد كانت تتوثب حيوية منذ يوم أو يومين . . . أجلسى يا عزيزتى . أنت مضطربة كل الاضطراب . . . لقد كنت شديدة التعلق بها ، أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : ماتت !

بينيلوپى : لماذا لا تبكين شفاء لحزنك ؟ ألا تجدين منديلك ؟ خذى هذا المنديل . إنه لأمر محزن ، أليس كذلك ؟ . . . وبعد كل ما بذلت فى سبيلها ؟ . . .

[ السيدة فيرجسون تربت عليها بمنديلها ]

السيدة فيرجسون : [ ترغم نفسها على أن تبدو طبيعية ] إنها لصدمة عنيفة .

بينيلوپى : آه ، أعلم ذلك ، وأشاطرك شعورك يا عزيزتى . كان ديكى مخلصاً لها . وقد قال إنه لم يعالج قط مريضة مثلها [ تضع منديلها على عينيها ] ماتت وعلى شفتيها ابتسامة ، وهى تذكر اسم زوجها المتوفى . وقد تأثر ديكى إلى حد أنه لم يستطع تناول غدائه . يا للفتى

المسكين ! . . . وكنا سنشترى عربة جديدة .

[ يدخل ديكى ، ويقف عند الباب لحظة إذ يبصر المرأتين تبكيان ]

ديكى : ماذا جرى ؟

پينيلوپى : [ بزفرة ] نقلت الساعة النبأ لأدا المسكينة .

ديكى : أى نبأ ؟

پينيلوپى : لم تكن تعلم أن السيدة ماك — لم يعد لها وجود .

السيدة فيرجسون : [ تحاول أن تخفى غيظها وحيرتها ] لم أكن أعلم ذلك بالتأكيد !

پينيلوپى : كان عليك أن تخبرها بالأمر يا ديكى . فلا بد أنها كانت تود حضور الوفاة .

ديكى : أردت أن أوفر عليك هذا المشهد .

السيدة فيرجسون : هذا عطف كبير منك .

ديكى : كنت أعرف أن هذا قصده ، فلديكى قلب رؤوف .

السيدة فيرجسون : [ بغيظ مكظوم ] لاحظت ذلك من قبل .

پينيلوپى : [ لزوجها ] وكنت شديد التعلق بها ، أليس كذلك ؟

ديكى : كنت أعدها صديقاً حقيقياً .

بينيلوبى : قلت لأدا إنها لفظت روحها بين ذراعيك يا حبيبى .

ديكى : وعلى ثغره ابتسامة .

بينيلوبى : هذا ما قلته بالذات . ماتت وهى تغمغم باسم زوجها الذى توفى منذ أربعين عاما . ما اسمه الذى ذكرته لى يا ديكى ؟

ديكى : ووكر يا حبيبتى .

بينيلوبى : حدث أدا تفصيلا ، فهى تريد سماع التفاصيل .

ديكى : طلبت أن يبلغوك سلامها ، وقالت إنها تهدى مودتها لزوجك .

بينيلوبى : يبدو أنها فكرت فى كل شىء . لا بد من أن تحضر الجنازة يا ديكى .

ديكى : نعم ، فأنا أود أن أظهر هذا الدليل على احترامى لها .

بينيلوبى : [السيدة فيرجسون] ألا تودين تناول كأس من الشيرى يا عزيزتى ؟ فأنا أزاك شديدة الاضطراب .

السيدة فيرجسون : الـ ـــ خبر فاجأنى مفاجأة .

بينيلوبى : الحق أنى توقعته مساء أمس ، ولكنى أفهم إنفعالك حق الفهم .

السيدة فيرجسون : أنا مقدرة لمواساتك كل التقدير .

پينيلوپي : سأذهب لأحضر لك بعض الشيرى بنفسى

ديكى : أوه ، دعينى أحضره أنا .

پينيلوپي : لا ، ابق مع أدا يا حبيبى ، فان لك طريقة عجيبة فى مواساة المكروبين .

ديكى : [ متمتماً ] تحتاج المرأة فى مثل هذا الظرف لامرأة مثلها لتواسيها .

پينيلوپي : [ تحول دون تحركه ] لا ، فأنت تعرف أن تقول ما يجب أن يقال بالضبط ، ولن أنسى مواساتك اللطيفة لى عند ما أنذرتنا آخر طاهية بأنها ستترك خدمتنا .

[ تخرج . وتهب السيدة فيرجسون واقفة على قدميها ]

السيدة فيرجسون : والآن ؟

ديكى : عجباً ! جعلتنى أقفز بحق .

السيدة فيرجسون : ما معنى هذا كله ؟

ديكى : معناه أن السيدة ماك بشر فانية مثلنا جميعاً وستقام الجنازة بغد غد فى كنزال جرين . وليقبل أصدقاؤها هذا التبليغ بمثابة إعلان لأنه لن ينشر إعلان غيره .

السيدة فيرجسون : كيف يمكن أن تموت السيدة ماك ! إنك

تعلم مثلما أعلم أنا أن السيدة ماك لم يكن لها وجود فى يوم من الأيام .

ديكى : أقسم لك أن الشك فى هذا بدأ يساورنى ، فقد أكثرت من الحديث عنها إلى حد أنها تبدو أقرب كثيراً إلى الحقيقة من — من كشف حسابى فى البنك مثلا . وبوسعى أن أكتب عن حالها مقالا ممتعاً فى مجلة « لانسيت » .

السيدة فيرجسون : [ محتدمة غيظاً ] أوه !

ديكى : ولكن أذكرى أن العجوز المسكينة تعذبت كثيراً فى حياتها ! جراحة بعد جراحة ! حياتها كانت غير جديرة أن تحياها : ولم يكن بد من أن تموت . وأنا أعد موتها خلاصاً سعيداً مبهجاً .

السيدة فيرجسون : أين كنت الليلة الماضية ؟

ديكى : كنت عند السيدة ماك — لا ، لم أكن بالطبع عندها . لقد اعتدت أن أقول هذه العبارة إلى حد أنها أصبحت تفلت منى عفواً . . . أنا آسف كل الأسف .

السيدة فيرجسون : كيف يمكنك أن تقول لى مثل هذه الأكاذيب ؟

ديكى : لست أدرى . يبدو أن الأمر بسبيله لأن يصبح عادة .

السيدة فيرجسون : أوصيك أن تحتفظ بأكاذيبك لبينيلوبى .

ديكى : أحسب إذن أنك ترين أنها لا تهم ؟

السيدة فيرجسون : أوه . إنها زوجتك . فالمسألة تختلف .

ديكى : فهمت .

السيدة فيرجسون : ماذا تقصد بقولك : فهمت ؟

ديكى : كان هذا هو الجواب الوحيد الذى خطر ببالى فى هذه اللحظة .

السيدة فيرجسون : أنا واثقة من أنك تقصد به أمراً ما .

[ تدخل بيتون بوعاء عليه كأسان من النبيذ وقنينة . يتوقفان عن الكلام متى تخرج ]

ديكى : هل لك فى كأس من الشيرى ؟

السيدة فيرجسون : لا .

ديكى : حسناً . أظن أنى سأتناول كأساً إذا كنت لا تمانعين . [ يملأ لنفسه كأساً ] يبدو لى أن الشيرى بدأ يصبح مشروب العصر من جديد .

السيدة فيرجسون : أيبدو لك ذلك ؟

ديكى : أعتقد دائماً أو أوتيت القدرة على جعل نفسى مرحاً وقت الشدائد . [ يشرب كأساً

من الشرفة ليتشجع ] اسمعى ، أريد أن أقول
لك كلاماً أخشى ألا يسرك سماعه كثيراً ،
ولعلك تظنيننى وحشاً فظيعاً ، ولكنى
مضطر إلى قوله [ لا تجيب السيدة فيرجسون
جواباً ، ويواصل حديثه بعد فترة صمت ]
( الواقع أنى لم أخلق منافقاً دساساً
فهذه الأكاذيب جميعها تضايقنى جداً .
ولست أحب أن أعتقد أنى أسىء معاملة
بينيلوبى . [ فترة صمت أخرى ] ومن الخير
أن أفضى لك بالحقيقة كلها الآن .
ولقد تبينت أنى أحب بينيلوبى حباً طاغياً .

السيدة فيرجسون : [ هادئة ] وبعد ؟

ديكى : [ فى شىء من الدهشة ] لا شىء بعد .

السيدة فيرجسون : وكيف تتصور أن ذلك يهمنى ؟

ديكى : [ شديد الارتباك ] ظننت — ! . . . !

[ تنفجر السيدة فيرجسون فى قهقهات متتالية ،
يجبت ديكى ، وينظر إليها فى دهشة ]

السيدة فيرجسون : إنك لم تتوهم أنى كنت أحبك فى يوم من
الأيام ؟

ديكى : [ محاولا تفسير الأمر ] لا ، لا . . . .

فالرجل الذى يخال المرأة تهيم به حباً هو حمار مغرور طبعاً .

السيدة فيرجسون : إنك سلبتنى يوم رأيتك أول مرة ، ولكن هذه التسلية انتهى أمرها منذ أمد طويل .

ديكى : إنه تلطف منك أن تقولى هذا .

السيدة فيرجسون : كان يلائمنى أن أجد من يخدمنى وأنا امرأة كلى أنوثة . و . . . .

ديكى : ولا تعرفين التصرف بنفسك .

السيدة فيرجسون : إنك سببت لى طوال هذا الشهر سأماً قاتلا وقد بذلت كل ما أستطيع لأظهر لك ذلك ، ما عدا مصارحتك به .

ديكى : أخشى أنى كنت بليد الفهم جداً .

السيدة فيرجسون : بليد الفهم إلى حد مفزع .

ديكى : ولكنه كان لطيفاً منك أن ترعى شعورى

السيدة فيرجسون : [ بابتسامة لطيفة ] ألا ترى أنه من الوقاحة أن أصفك بنفس كلماتك ، وهى أنك حمار مغرور ؟

ديكى : قد يجعل هذا علاقتنا المستقبلة رسمية نوعاً .

السيدة فيرجسون : لن تكون بيننا علاقة مستقبلة .

ديكى : ليس هناك إذن قول بعد هذا يقال .

[ تندفع السيدة فيرجسون صوب الباب ، ثم تتوقف ]

السيدة فيرجسون : أتحبك بينيلوبى ذلك الحب الأعمى الذى أحببتك به يوم رأيتك لأول مرة ؟

ديكى : إنى أظن بأنها تحبنى بقدر ما أحبها .

السيدة فيرجسون : ماذا صنعت بالرسائل التى كنت أكتبها إليك ؟

ديكى : صنعت بها ما اتفقنا عليه . أحرقتها فى الحال .

السيدة فيرجسون : ولكنى لم أفعل مثل ذلك بخطاباتك ، فقد احتفظت بها .

ديكى : لم يكن يخطر ببالى أنها تهمك إلى هذا الحد .

السيدة فيرجسون : يخيل إلى أن بينيلوبى ستجدها ممتعة جداً

ديكى : ولماذا لا ترسلينها إليها ؟

السيدة فيرجسون : أظن أنى سأفعل ذلك ، إذا لم يكن لديك اعتراض .

ديكى : لن تخبرها هذه الرسائل بديد .

السيدة فيرجسون : [ تعود من الباب فزعة ] أنت لا تعنى أنك أخبرتها بالأمر ؟

ديكى : كلا بالطبع .

السيدة فيرجسون : ماذا إذن ؟

ديكى : كانت على بينة طوال الوقت .
السيدة فيرجسون : على بينة مم ؟
ديكى : من الأمر كله منذ أوله .
السيدة فيرجسون : [مرتبكة] وكيف اكتشفته ؟
ديكى : علم ذلك عند الله وحده .
السيدة فيرجسون : إنها مصيدة ! كان على أن أعرف أنها ليست بلهاء كما كانت تبدو . لقد أرادت طلاقك فاتخذت منى وسيلة للذلك . إن زوجى لن يسكت على هذا .
ديكى : أستطيع أن أدرك أنه حتى أشد الأزواج حباً لزوجته لا يسمح بتجاوز هذا الحد .
السيدة فيرجسون : أوه ، لا تحاول الآن أن تهزل .
ديكى : لا فجانب الهزل فى المسألة لم يحن بعد .
السيدة فيرجسون : ماذا ؟
ديكى : حسناً ، لا داعى لأن تضطربى لهذا الأمر ، فان پينيلوپى لن تقدم على شىء .
السيدة فيرجسون : إذن فلماذا . . . ؟
ديكى : [بهزة من كتفيه] إنها لا تهتم قتيلا .
السيدة فيرجسون : لست أفهم .
ديكى : ألا تفهمين ؟ الأمر بسيط جداً فالمسألة فى نظرها لا أهمية لها . لقد سرها أنى

تسليت . ولكن آه لو علمت مقدار التسلية التى استمتعت بها ! إنها تنظر إلى الأمر على أنه أشبه بـ . . . بتغيير الهواء .

السيدة فيرجسون : [ حانقة ] أوه ! أوه ! أوه ! . . أظنه أشبه بتمضية أسبوعين فى لعبة الجولف على شاطىء البحر .

ديكى : شىء أشبه بهذا .

السيدة فيرجسون : أفضل لو أنها طلقتك .

ديكى : شكراً . ولكنى لا أفضل هذا .

السيدة فيرجسون : أوه ، يا للمذلة ! ! لم أكن إلا مجرد أداة بينما كان لديها ما هو أهم . إن هذا يجعل المسألة كلها خسيسة ! . . . تصور أننى كنت أصبو إلى مغامرة شاعرية ! . . . إنى لم أكن لأتطلع إليك لولا اعتقادى أنها هائمة بك .

ديكى : يخيل إلى أن العلاقات الغرامية التى من هذا القبيل لا تبدو شاعرية إلا حين تقع للآخرين ، أما إذا وقعت للمرء نفسه — حسناً ، فكلمة « خسيسة » هى النعت المناسب لها .

السيدة فيرجسون : [ تتذكر فجأة ] والسيدة مالك ؟

ديكى : عرفت بينيلوبى كل شىء عنها أيضاً .

السيدة فيرجسون : أتعنى أننا اليوم عند ما . . . ؟

ديكى : عند ما امتزجت دموعكما ؟ أظن أن دموعها كانت هى ودموعك فى الصدق سواء .

السيدة فيرجسون : ولقد استدرجتنى للإدلاء بقول بعد قول .

ديكى : أظنها أفلحت فى استغفالنا كلينا .

السيدة فيرجسون : وكيف بالله أستطيع لقاءها الآن ؟

ديكى : ستكون فى حال طيبة . ستكون لطيفة كما كانت دائماً .

السيدة فيرجسون : أيها الأبله ! ألا ترى أنها إذا تظرّفت معى فذلك لاعتقادها أنها أجمل منى ، وأذكى منى ، وأشد فتنة وإغراء ؟ إنها تمتنع حتى عن احتقارى . . . إنها لا تبالى بى

[ تتجه إلى المرآة وتتطلع فيها . وتقول بعنف ]

تغيير هواء .

[ يفتح الباب ببطء ، وتدخل بينيلوبى ، وقد ارتدت ملابس رحلة بالسيارة . تشهق السيدة فيرجسون فجأة حين تراها ، وتدور بوجهها عنها . تقف بينيلوبى فى مكانها هنيهة وتنظر إليهما متأملة ، ويقوم ديكى دون هدف بترتيب أشياء موضوعة فوق المنضدة ]

بينيلوبي : [ بابتسامة بائعة ] لعلى لم أزعجكما ؟

ديكي : أ . . . .

بينيلوبي : نعم ؟

ديكي : لا شيء .

[ ترتمي السيدة فيرجسون فجأة على أحد المقاعد وهي تنتحب وتجهش بالبكاء مخفية وجهها بيديها ، تلقي عليها بينيلوبي نظرة اندهاش ، وتتجه إليها مسرعة ، وتنحني عليها ويدها على كتفها ]

بينيلوبي : [ تكاد تحن عليها ] ماذا ؟ أدموع حقيقية ؟

السيدة فيرجسون : [ بصوت منهج ] أشعر بأني هُزِأْت .

بينيلوبي : [ بابتسامة خفيفة وكأنها تخاطب طفلا ] لا ، تبكي .

السيدة فيرجسون : أنا أبدو بلهاء بحق .

بينيلوبي : من المضجر أن تبدو خطايانا الصغيرة لدى افتضاحها طائشة بدلا من أن تبدو شريرة .

السيدة فيرجسون : لن أحترم نفسي بعد ذلك أبداً .

بينيلوبي : جففي دموعك يا عزيزتي ، فقد جاء خالي دافينبورت الآن ، وهو يريد أن يعرف أمن اللائق أن يدعوك إلى تناول الغداء معه على انفراد .

السيدة فيرجسون : [ بمسحة خفيفة من طريقتها القديمة ] كم هو

خفيف الظل . أود أن أتبادل معه حديثاً قلبياً .

پينيلوپي : ستجدين مطعم كارلتون مكاناً مناسباً جداً لذلك .

السيدة فيرجسون : أعيناى محمرتان ؟

پينيلوپي : أبداً . سآتيك ببعض البودرة .

[ تتناول علبة البودرة من فوق إحدى المقاعد ، وترش السيدة فيرجسون بعضها على أنفها ، وهى تفكر ]

السيدة فيرجسون : يعجبنى خالك . إنه فى حديثه عن الدوقات يذكرهن بأسمائهن دون أسماء أسرهن .

[ تعلن بيتون قدوم بارلو وتخرج ]

بيتون : مستر دافينبورت بارلو

[ تسترد السيدة فيرجسون حالتها الطبيعية استرداداً تاماً لدى دخوله ]

پينيلوپي : [ وهى تقبل خالها ] كيف حالك ؟

بارلو : [ يتقدم بكياسة إلى السيدة فيرجسون ] هـذه مفاجأة سارة كنت أحسبك فى باريس .

السيدة فيرجسون : لا ، فان حالة السيدة ماك ازدادت سوءاً على حين فجأة .

بارلو : هذا من حسن حظى .

السيدة فيرجسون : ظريف منك أن تقول هذا ، ولكنى سأغادر لندن تواً على أية حال .

بارلو : ولكن هذا قرار فجائى جداً .. ماذا سنصنع هنا بدونك ؟

السيدة فيرجسون : عليك أن تلوم الدكتور أوفاريل .

ديكى : ( مهموماً ) أنا ؟

السيدة فيرجسون : قال لى إنى الآن فى صحة جيدة تحتمل مناخ بلد غريب .ولا يوجد شىء بالطبع يحملنى على البقاء ساعة واحدة بعيدة عن زوجى ، إلا إذا كنت مرغمة على ذلك .

بارلو : ولكنى ظننته يحارب بشجاعة فى سبيل وطنه .

السيدة فيرجسون : الواقع أنه لا توجد معارك يشتبك فيها الآن . وقد استأجر منزلا أنيقاً فى مالطه ، وسأبدأ رحلتى إليه غداً .

بارلو : إن هذا يحزننى حزناً لا أستطيع وصفه وهل ستَرحلين إلى مالطه رأساً ؟

السيدة فيرجسون : لا ، سأتوقف فى طريقى بباريس ، يوما أو يومين .

بارلو : ما أغرب هذا ! فقد أعددت نفسى أنا أيضاً للسفر إلى باريس غداً .

السيدة فيرجسون : أفلا يضايقك إذن أن تعنى بأمرى أثناء السفر ؟ فأنت تعلم إننى امرأة ، كلها أنوثة ، وأشعر بالعجز التام حين أكون فى القطار وحدى .

بارلو : إنى أعد ذلك تميزاً خاصاً لى ، ولعلنا نحضر مسرحية أو مسرحيتين أثناء إقامتنا هناك .

السيدة فيرجسون : هذا إذا وعدت ألا تذهب بى إلى أية مسرحية مريبة .

بارلو : ها ، ها ، ها .

السيدة فيرجسون : [ لبينيلوبى ] والآن يا عزيزتى ، لا بد من أن أودعك ، وأنا أخشى ألا نلتقى ثانية إلا بعد فترة من الوقت .

بينيلوبى : وداعاً .

[ تقبل كل منهما الأخرى بشدة ]

السيدة فيرجسون : [ لديكى ] وداعاً . وإذا سمعت عن عملية رابحة فى بورصة الأوراق المالية فأرجو أن تلفتنى إلى ذلك ، وأظن أنى سأسترد

ما خسرته بشراء أوراق جوهانسبورج وأورشليم الجديدة .

پينيلوپي : سأفعل ذلك .

السيدة فيرجسون : [لبارلو] بالباب عربة تنتظرني ، فهل أذهب بك إلى المكان الذي تريد ؟

بارلو : ذلك يكون تفضلا منك .

[تخرج مومئة برأسها لديكي]

بارلو : [وهو يصافح پينيلوپي] إنها مخلوقة ظريفة كم هي رائعة مهذبة كل التهذيب .

پينيلوپي : والآن ، إحذر يا خالي دافينبورت ، إياك واللعب .

بارلو : يا عزيزتي ، ما أنا روح الشرف فحسب ، ولكني جاوزت الثانية والخمسين أيضا .

[يخرج]

پينيلوپي : [وهو بسبيل الخروج] أظن أن هذا يحمل المرء فعلا على التفكير الإفلاطوني .

ديكي : [يتنفس الصعداء] أوف . [تدور پينيلوپي إلى المرآة لتصلح وضع قبعتها . ويلاحظها ديكي مبتسما] وبعد ؟

پينيلوپي : [تتظاهر بالدهشة] أستميحك عذراً ؟

ديكي : إنك وعدتني أن تقبليني .

بينيلوبي : لا . أنا وعدت أن أدعك تقبلني .

ديكي : [ يحتضنها ويقبلها ] أيتها الوحش الصغير .

بينيلوبي : هل انتهيت ؟

ديكي : لم أنته تماماً .

بينيلوبي : أخشى إذن أن تضطر إلى إرجاء ذلك لوقت آخر ، فبالباب سيارة أجرة يكلفني انتظارها بنسين كل دقيقة .

ديكي : [ متراجعاً ] وما حاجتك إلى سيارة ؟

بينيلوبي : [ بابتسامة ] قدرت أن ذلك سيطفىء حماستك .

ديكي : لا تقولي إنك ستقومين الآن برحلة السيارة السخيفة ؟

بينيلوبي : وأي شيء يحول دون ذلك ؟

ديكي : [ بين مجروح الشعور وماخوذ ] بين !

بينيلوبي : [ تنظر في ساعة معصمها ] يا إلهي . لقد تركتهم ينتظرون .

ديكي : [ يتناول كلتا يديها ] والآن لاتغيظيني إذهبي واخلعي عنك ملابس الرحلة الكريهة هذه ، ولننعم معاً بتناول الشاي . ونبهي بيتون لتقول إنك غير موجودة .

بينيلوبي : يؤسفني أشد الأسف أن أخيب رجاءك ،

ولكنى أخشى ألا أستطيع الإخلال بموعد ارتبطت به .

ديكى : لا أحسبك جادة .

پينيلوپى : جادة فوق المألوف .

ديكى : ولكن كل شىء اختلف الآن يا بنين العزيزة . ألا تعلمين أنى أحبك ؟

پينيلوپى : ظريف منك أن تقول ذلك .

ديكى : أليس لقولى هذا أى معنى عندك ؟

پينيلوپى : ليس له معنى كبير .

ديكى : [ بدأ يرتبك نوعاً ما ] ولكن ، ثوبى إلى رشدك ياعزيزتى بين ، إنى أحبك بمقدار حبك لى .

پينيلوپى : [ بابتسامة صغيرة ] لكن ماذا يحملك على الظن بأنى أحبك ؟

ديكى : [ مبلبل الفكر ] أنت — أنت لا تقصدين أن تقولى إنك لم تعودى تحبيننى !

پينيلوپى : [ فى حياء وهدوء ] أنا — لم أعد أشعر بأن العالم سينتهى عند ما تخرج من الغرفة .

ديكى : ماذا ! لم لا تقولين صراحة إنك لا تطيقين رؤيتى ؟

پينيلوپى : لأن ذلك لا يطابق الحقيقة كل المطابقة ، فأنا أميل إليك جداً .

ديكى : تميلين إلى ! أنا لا أريد أن تميلى إلى ، بل أن تحبينى .

پينيلوپى : ليت ذلك بيدى ، فإنه ينقذنا من متاعب كثيرة .

ديكى : أنا لا أفهم شيئاً ، فذلك أعجب ما سمعت فى حياتى . . . كنت أظن دائماً أنك تهيمين بى حباً .

پينيلوپى : لماذا ؟

ديكى : لأنى أهيم بك حباً .

پينيلوپى : منذ متى ؟

ديكى : دائماً ، دائماً ، دائماً .

پينيلوپى : تصور ذلك .

ديكى : أوه ، لست أجهل أنى تصرفت تصرفاً أخرق ، وسأظل أندم على ذلك ما حييت . أتخالين أنى كنت سعيداً ؟ أتظنين أنى استمتعت بوقت مبهج ؟ لا ، لم أستمتع كثيراً . . . أحسب أن هذا هو ما حصل . ألا يمكنك أن تغفرى لى ؟

پينيلوپى : هراء . أنا أغفر لك بالطبع ، فليس للأمر أية أهمية .

ديكى : [بشارة تنوط] المسألة كلها لغز فى

نظرى . لقد أحببتك دائماً يا بين ، ولم أكف عن حبك لحظة واحدة .

بينيلوبى : أنت فى غير حاجة يا عزيزى إلى كل هذا الدفاع ، فإن الأمر لا يهمنى على الحالتين .

ديكى : ما كان أغبانى ! كان على أن أدرك أن تقبلك الأمر بهذا الهدوء لا يكون قط إلا بسبب عدم حبك لى . وإذا لم تثر المرأة فلا يعنى هذا إلا أنها لا تحب زوجها . . ألم تحبينى فيما مضى ؟

بينيلوبى : نعم .

ديكى : كيف يمكنك أن تكونى متقلبة على هذا النحو ؟ . لم يخطر ببالى قط أن تعامليني هذه المعاملة [ تنظر بينيلوبى حولها كأنما أصابت شيئاً ] عم تبحثين ؟

بينيلوبى : خيل إلى أنك فقدت روح الفكاهة ، وكنت أنظر هل أستطيع العثور لك عليها .

ديكى : كيف أستطيع الاحتفاظ بروح الفكاهة وأنا أتألم ؟

بينيلوبى : [ تجفل لكلمته ] تتألم ؟

ديكى : آلام المقضى عليه بالهلاك، إنى أريدك ، إنى أريد حبك .

[ لا يرى وجه بنيلوبى ، وقد ارتسم عليه تعبير عن تأنيب الضمير للألم الذى سببته له . وتوشك أن تتحرك نحوه ، ولكنها تتمالك نفسها بسرعة ]

بينيلوبى : [ بابتسامة ساخرة ] يا حبيبى المسكين .

ديكى : [ غاضباً ] لا تهزئى بى .

بينيلوبى : لم أكن أهزأ بك ، ولكنى كنت أشفق عليك .

ديكى : أتحسبين أنى فى حاجة إلى إشفاقك ؟

بينيلوبى : أنا سيئة الحظ جداً إذ يبدو أنى عاجزة تماماً عن إرضائك ، وأظن أنه من الخير أن أرحل لمدة أسبوع .

ديكى : [ يهب واقفاً ] لا . إنك لن ترحلى .

بينيلوبى : [ رافعة حاجبيها ] أى شىء يحملك على أن تظن ذلك ؟

ديكى : لأنى أمنعك من الرحيل .

بينيلوبى : [ مبتسمة ] أتتوهم أنى سأخر على وجهى إطاعة لأمرك ؟

ديكى : أنا السيد فى هذا المنزل ، وأنا مصمم على أن تحترم كلمتى .

بينيلوبي : ما دمت تدفع يا عزيزى الإيجار والضرائب فمن الحق أن تسوس هذا المنزل بقضيب من حديد إن شئت . أما أنا شخصياً فلا أريد فى هذه اللحظة إلا أن أخرج منه .

ديكى : أنت لن تخرجى منه .

بينيلوبي : أتنوى أن تبقينى هنا برغم إرادتى ؟

ديكى : يقيناً ، إذا اقتضى الأمر ذلك .

بينيلوبي : هيم م م . . .

[ تقف وتتجه إلى الباب ، فيعترض طريقها ، ويغلق الباب بمفتاح يضعه فى جيبه ]

بينيلوبي : قوة غاشمة .

ديكى : أظن الوقت قد حان لأريك أنى لن أسمح لأحد باستغفالى .

[ تهز بينيلوبي كتفيها وتجلس . ثم تنهض على حين فجأة ]

ديكى : لا أرى موجباً للضحك .

بينيلوبي : ولكنى أرى موجباً له ، فما أشبه هذا بتصرف الأزواج فى القرون الوسطى . . وهل ستجعل غذائى الخبز القفار والماء ؟

ديكى : [ بغضب ] أغ . [ ينظر إليها ] أرجوك يا بين أن تتعقلى الأمر ، لماذا بربك

تريدين القيام بهذه الرحلة السخيفة ؟

بينيلوبي : أنا أرفض مناقشة المسألة قبل أن تفتح الباب .

ديكي : إن هذا الوقت من العام ليس وقت رحلات السيارات [ فترة صمت . تشخص بينيلوبي ببصرها أمامها دون أن تغير قوله التفاتاً ] ستمطر السماء وابلا مدراراً ، وستصابين ببرد شديد ، بل لعلك تصابين بالتهاب رئوى ( فترة صمت ) أحس بانحطاط فى القوى ، ولا يبعد أن أكون على وشك الإصابة بمرض أنا نفسى [ تكتم بينيلوبي ضحكة ، وتظل تشخص فى الفضاء . ديكي ينفجر منفعلا ] ولكن ألا تربن أن منعى إياك من الخروج لا يرجع إلا إلى عجزى عن احتمال غيابك عنى ؟ إنى أريدك . . أريدك إلى جانبي فى كل لحظة ، أريدك أن تحبينى . . . آه لو كنت تعلمين كم أحبك ، إذن لما قسا على قلبك هذه القسوة .

بينيلوبي : [ تلتفت إليه ، وتتحدث فى هدوء تام ] ولكنك لو كنت تحبنى حقاً لما حاولت أن تحرمنى هذه المتعة الصغيرة ، ولرغبت

فى التضحية بنفسك أحياناً ، ولأوليت رغباتى نوعاً من الرعاية ، ولما عملت على إقامة العقبات السخيفة حين يتيح لى الحظ أن أستمتع ببعض التسلية .

[ يظل ديكى ينظر إليها لحظة ، ثم يدور عنها ويذرع المكان ذهاباً وإياباً وهو مطأطىء الرأس . ويخرج المفتاح من جيبه ، ويضمه صامتاً إلى جانبها فوق المنضدة ]

بينيلوبى : ما معنى هذا ؟

ديكى : [ فى صوت كسير ] أنت على حق ، فما كنت إلا أنانياً جداً ، ولم أفكر إلا فى نفسى . ولعلى سببت لك السأم ، وقد تزدادين ميلا إلى إذا بعدت عنى بضعة أيام .

[ تتأثر بينيلوبى إلى حد أنها تكاد تعجز عن مواصلة الدور الذى تمثله . ولكنها تجالد نفسها ، وتستطيع بعد برهة أن تتغلب على رغبتها فى الارتماء بين أحضانه ]

بينيلوبى : لعلك تتكرم وتفتح الباب ما دمت قد أغلقته .

[ يأخذ المفتاح فى صمت ، ويتجه إلى الباب ويفتحه ]

بينيلوبى : هل أفهم من هذا أنك لا تعترض على قيامى بالرحلة ؟

ديكى : إذا كانت الرحلة تسعدك فيسرنى أن أراك سعيدة . أنا لا أريد إلا سعادتك .

پينيلوپى : ألست تؤثر بقائى ؟

ديكى : لا .

[ تجمل پينيلوپى قليلا ، فليس هذا هو ما تريده منه ]

پينيلوپى : أوه !

ديكى : لست أدرى ماذا أصنع فى غيابك ! . أحس كأنى بدأت أعرفك الآن فقط . . وكأنه — أوه ، لا أعرف كيف أعبر عن قصدى .

پينيلوپى : ولكنك قلت الآن إنك تؤثر رحيلى .

ديكى : أنا لا أريد أن أفكر فى نفسى بعد الآن ، وإنما أريد أن أفكر فيك أنت دون سواك وكم يسعدنى أن أفكر فيك يا بين . . . أريد أن أضحى بنفسى .

پينيلوپى : [ تشعر بالفرج ] هلا ذهبت إلى غرفتى ونظرت ما إذا كانت الخادم قد أنزلت حقيبتى إلى أسفل الدار ؟

[ يخرج ويغيب لحظة . وتظل هى بالحجرة وعلى وجهها نظرة الفرح . يعود ثانية ]

ديكى : نعم ، نزلت بيتون بها .

بينيلوبي : إذن — [ ترشقه بنظرة من تحت أهدابها ] دق لها الجرس ، وقل لها أن تعود بها ثانية .

ديكي : [ يكاد لا يصدق حسن حظه ] بين !

بينيلوبي : أأنت مسرور ؟

ديكي : أوه ، أنت طيبة جداً معي ، ولست أستطيع أن أعبر عن مقدار عرفاني بالجميل . آه لو تعلمين يا بين كم أعبدك !

[ يخر راكعاً على قدميه ، ويقبل يديها بشغف ، وهي لا تكاد تستطيع منع نفسها من رفعه وتطويق عنقه بذراعيها ]

ديكي : أهناك بارقة أمل لي ؟ أتظنين أن حبك لي سيعاودك كما كان ؟

بينيلوبي : وكيف أدري ذلك ؟

ديكي : أوه ، لماذا لا نستطيع أن نعود كما كنا في البداية ؟ أتذكرين كم كان يحب كل منا صاحبه يومذاك ؟ كان من عادتك أن تنزلي معي لتوديعي عند انصرافي كل يوم ، وأن تنزلي بسرعة عند عودتي لتقبيلي . ثم أتذكرين كيف كنت تجلسين على ذراع مقعدي صباحاً وأنا

أدخن غليونى ، وتشتركين معى فى قراءة الصحف ؟

بينيلوبى : [تخلى ابتسامة] كم كنت تكره ذلك قطعاً !

ديكى : أكرهه ؟ أنا لم أشعر بمثل تلك السعادة طوال حياتى .

بينيلوبى : آمل على أية حال أن نظل دائماً صديقين حميمين .

ديكى : [يهب واقفاً] صديقين ! ما فائدة أن تجودى على بصداقتك بينما أنا أكاد أموت لهفة على حبك ؟ كيف يطاوعك قلبك على أن تشقينى إلى هذا الحد ؟

بينيلوبى : [تبتسم فى سماحة) ولكنى لن أشقيك ، وإنما آمل أن أظل لطيفة معك دائماً .

ديكى : وماذا يهمنى هذا ؟ هل تعدينى يا بين أن تحاولى أن تحبينى ؟

بينيلوبى : [بابتسامة] نعم ، سأحاول ذلك إن شئت .

ديكى : سأحملك على أن تحبينى ، ولن أهدأ حتى أستوثق من حبك لى .

بينيلوبى : وعند ما تستوثق من ذلك ، أحسبك لن تعيرنى أقل اهتمام ؟

ديكى : جربينى ! جربينى ! [يقبل يديها ثانية . ولا يرى وجهها بينما تبتسم وتهز رأسها] أنا لم أدرك من قبل أننى مغرم بك إلى هذا الحد ، إن مجرد تقبيل يديك يفعمنى نشوة .

[تطلق پينيلوپى ضحكة صغيرة وتتملص منه]

پينيلوپى : لا بد لى الآن من الذهاب إلى أسرة هندرسون لأخبرهم بأننى لن أستطيع الذهاب معهم فى الرحلة بالسيارة .

ديكى : ألا تستطيعين مخاطبتهم تليفونياً ؟ فأنا لا أريد أن أدعك تغيبين عن بصرى .

پينيلوپى : ليس لديهم تليفون ، وأسهل على أن أذهب بنفسى .

ديكى : حسناً جداً . وما دام لا بد لك من ذلك فاذهبى [تبتسم وتتجه صوب الباب ، وعند ما تصل إليه يستوقفها] أوه ، يا بين !

پينيلوپى : نعم .

ديكى : متى ستعودين ؟

[عند ما تتبين مغزى عبارته تومىء إيماءة ضاحكة ، وترسل له قبلة سريعة بيدها ، وتنسل من الباب]

النهايـــة

المسرحية القادمة

# الغربان

## Les Corbeaux

تأليف : هنري بيك

Henri Becque

ترجمة

الدكتور محمد محمد القصاص

مراجعة : الدكتور محمود محمد قاسم * تقديم : الأستاذ عبد الرحمن صدقي

## روائع المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية
تصدر يوم ٤ من كل شهر

صدر منها:

١- الشقيقات الثلاث — تأليف: أنطون تشيكوف — ترجمة: الدكتور هادي الراهي

٢- أعمدة المجتمع — تأليف: هنريك إبسن — ترجمة: هنري سليمان

٣- سيرانو دي برجراك — تأليف: أدموند روستان — ترجمة: عباس حافظ

٤- مروحة ليدي وندرمير — تأليف: أوسكار وايلد — ترجمة: عباس يونس

تصدرها: وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

الناشر: الشركة التعاونية للطباعة والنشر
١٤ شارع عماد الدين ت ٤١٢٠٣ - القاهرة

مطبعة كوستانسو عابدين وشركاه
٥ شارع رابعة العدوية بالظاهر تليفون ٤٤١١٨
الصف ١٢ شارع محمد تليفون ٥٢١٣٦